دار نشر جامعة لوسيل
Lusail University Press

RESEARCH ARTICLE

# الخطاب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ومسألة الشرعية

عادل الحواتمة

**الملخص**

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف دور الخطاب في التأكيد على شرعية المقاومة الفلسطينية، وذلك من خلال تحليل بعض الخطابات بعد طوفان الأقصى لقادة حماس: خالد مشعل، رئيس حركة المقاومة الإسلامية – حماس في الخارج، واسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي للحركة، وأبو عبيدة، الناطق الرسمي باسم كتائب الشهيد عز الدّين القسّام. اعتمدت الدراسة على المنهج النوعي السردي التحليلي. واستخدمت الدراسة النظرية البنائية، ومقاربة تحليل الخطاب بشكل أساسي في الإجابة عن تساؤلات الدراسة، حيث تم تطبيق نموذج Ernesto Laclau and Shanti Moffi 1985 في تحليل الخطاب المقاوم. ولقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج المهمة: أدّت خطابات حماس دوراً مهماً في التأثير على الرأي العام ودحض الروايات الإسرائيلية التي تتهم الحركة بأعمال إرهابية خلال الطوفان. وتم التعبير عن شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني في الخطاب بسياقات متعددة تتسق مع الموقع القيادي لصاحب الخطاب: كالسياقات السياسية الدولية، كما هو حال خالد مشعل، والسياسية المحلية والإقليمية، كما هو حال اسماعيل هنيّة، والداخلية الميدانية والعسكرية كما هو حال أبو عبيدة. جاءت جميع الخطابات، بالرغم من تعدد مستوياتها، متسقة وتؤكد على الأفكار ذاتها، ولو بطرق مختلفة. كما أظهرت الدراسة محاولات عديدة في إظهار التزام الحركة بالقيم الإسلامية والعربية في التعامل مع الأسرى، وهو المنظور الذي يتفق معه القانون الدولي بنسبة كبيرة.

**الكلمات المفتاحية:** تحليل الخطاب، المقاومة الفلسطينية، حماس، طوفان الأقصى، الحرب على غزة

## The Political Discourse of the Islamic Resistance Movement in Palestine and the Question of Legitimacy

**ABSTRACT**

This study aims to explore the role of resistance discourse in affirming the legitimacy of the Palestinian resistance, through an analysis of speeches delivered by Hamas leaders after the Al-Aqsa events: Khaled Meshaal, head of the Islamic Resistance Movement (Hamas) abroad; Ismail Haniyeh, head of the movement's political bureau; and Abu Ubaida, the official spokesperson for the Izz ad-Din al-Qassam Brigades. The study adopted a qualitative narrative analytical approach. It primarily employed constructivism theory depending on discourse analysis to address the research questions, applying the 1985 model of Ernesto Laclau and Shanti Moffi to analyze resistance discourse. The study yielded several important findings: Hamas's speeches played a significant role in shaping public opinion and refuting Israeli narratives that accused the movement of engaging in terrorist acts during Tofan Al-Aqsa. The legitimacy of the resistance and the enduring validity of the Palestinian cause were articulated through multiple discursive contexts, each reflecting the leadership position of the speaker. These included international political contexts, as exemplified by Khaled Meshaal; local and regional political contexts, as reflected in the speeches of Ismail Haniyeh; and internal military and operational contexts, as represented by Abu Ubaida. Despite operating at different levels, all the speeches were consistent in conveying the same core ideas, albeit through different rhetorical approaches. The study also identified numerous instances in which the movement sought to demonstrate its adherence to Islamic and Arab values in its treatment of prisoners, a perspective that is largely consistent with the principles of international law.

***Keywords:*** Discourse analysis; Palestinian resistance; Hamas; Tofan Al-Aqsa; War on Gaza

عادل الحواتمة
برنامج العلوم السياسية والشؤون الدولية، كلية التربية والآداب، جامعة لوسيل، قطر
Adel Al-Hawatmeh
Political Science and International Affairs Program, College of Education and Arts, Lusail University, Qatar
AAlHawatmeh@lu.edu.qa
ORCID ID: https://orcid.org/0009-0002-2124-287X

Submitted: 04 April 2026
Accepted: 04 June 2026

https://doi.org/10.70139/rolacc.2026.1.4

© 2026 Al-Hawatmeh, licensee LU Press. This is an open access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution license CC BY 4.0, which permits unrestricted use, distribution and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.

**للاقتباس:** عادل الحواتمة، الخطاب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ومسألة الشرعية، مجلة مركز حكم القانون ومكافحة الفساد، 1:2026.
https://doi.org/10.70139/rolacc.2025.1.4

## 1. مقدمة

تعود جذور الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني إلى بدايات القرن الماضي، وبشكل أساسي بعد إعلان وعد بلفور 2017 والذي منح اليهود حق إقامة وطن قومي على أرض فلسطين. بعد عمليات التهجر باتجاهين القسري للفلسطينيين لمغادرة فلسطين، والطوعي لليهود من أنحاء العالم للانتقال إلى فلسطين لإقامة الوطن القومي، وإعلان قيام إسرائيل 1948، وما تبعها من جرائم ومجازر وحروب وانتفاضات ومحطات تطبيع للعلاقات من بعض الدول العربية من خلال التسلسل الزمني: حربي 1967 و1948، ومعركة الكرامة 1968، وحرب 1973، واتفاقية كامب ديفيد مع مصر 1979، والانتفاضة الأولى 1987، واتفاقية أوسلو للسلام مع السلطة الوطنية الفلسطينية 1993، واتفاقية وادي عربة مع الأردن 1994، والانتفاضة الثانية 2000، وما تلا ذلك من حروب ضد غزة من "عملية الرصاص المصبوب" 2008 مروراً بحرب "عملية عمود السحاب" 2012، و"عملية الجرف الصامد" 2014، و"سيف القدس" 2021، وأخيراً الحرب على غزة 2023–2025، وهي هدف الدراسة.

في ظل محطات المواجهة تلك، كانت هناك محاولات لتغيير مفاهيم ودلالات العمل النضالي، كالمقاومة ومحاولة طمس الحق والعودة الفلسطينية. لذلك، في المقابل، تأتي الخطابات السردية الفلسطينية، لتؤكد باستمرار، على أهمية المقاومة والتشبث بالحق الفلسطيني في ظل بيئة معقدة تضعف بها أحياناً حدة تلك المقاومة، أو تأخذ أشكالاً متعددة، تتنوع بين الفاعلة وغير الفاعلة. لذلك، فإنّ هذا يتطلب فهم هذه الظاهرة السياسية المتمثلة بالحرب على غزة 2023–2025 من نواحي متعددة مشتملاً على تنافس السرديات في الصراع على المعاني والأفكار وإعادة إنتاج الواقع. وتتطلب الحاجة للفهم، تحليل الخطاب المقاوم الذي تصدى للاحتلال الإسرائيلي فكرياً من حيث التنافس على المفاهيم خطابياً وعسكرياً في ميادين القتال. لذلك، يأتي تحليل الخطاب المقاوم لتقديم فهم للأفكار والدلالات ضمن سياقات مختلفة، وهذا يتطلب إطاراً نظرياً يساعد على فهم المواضيع الأساسية والدلالات الفكرية الواردة في الخطاب الفلسطيني المقاوم.

إنّ تعدد نظريات العلاقات الدولية تلك التي تفسر سلوك الفاعل السياسي في النظام الدولي يعطي الباحثين سياقات نظرية تساعدهم على فهم أفضل للظواهر السياسية المتعددة والإجابة عن تساؤلاتهم، والقدرة على الوصف الدقيق، والقياس، والتحليل، والتقييم. هناك العديد من النظريات التي تقوم بهذا الدور مثلاً لا حصراً كالواقعية، والليبرالية، والبنائية، وغيرها. وعلى الرغم من سيطرة النظرية الواقعية على الأدب السياسي لفترة طويلة إلا أنّ انهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة كان له دوراً مهماً في بروز النظرية البنائية كإطار نظري اجتماعي يُسهم في فهم الظواهر السياسيّة وذلك بإبراز دور الهوية والبنى، واللغة والخطاب والهياكل الاجتماعية، في توجيه السياسة الخارجية للدول.[1] وبالتالي تظهر أهمية الخطاب، والمعاني؛ فلم تعد الكلمات، حسب البنائية، تصف الواقع فحسب، بل أصبحت تشكّله.[2]

من هنا، أصبحت دراسات تحليل الخطاب، وتحليل الخطاب النقدي محط اهتمام بالغ للكثيرين من المشتغلين والمهتمين بدراسة الظواهر السياسية والاجتماعية، أولئك المؤمنين بأهمية اللغة والمعاني والأفكار والدلالات في فهم التغير الاجتماعي[3] وفهم الظواهر السياسية والتعرف على صراع الهويات في النظام الدولي من خلال اكتشاف أدوار الأيديولوجيا، والهيمنة، والهوية في صنع السياسات وإنتاج المعرفة.[4] وبشكل أكثر دقة، وبما يتصل مع التأطير واستخدام الدلالات، برز منهج Laclau and Mouffe[5] في تحليل الخطاب النقدي لفهم الصراع الهوياتي المضّمن في الخطاب، والذي اعتُبر متغيراً وليس ثابتاً، بل يتشكل في الخطاب وحسب السياقات. ومن أبرز عناصر هذا النموذج في تحليل الخطاب النقدي: "النقاط العقدية" (nodal points) و"الدلالات العائمة" (floating signifiers).

تسهم هذه العناصر بفهم أكبر لصراع الهويات الدائم من خلال تحليل الخطاب، وكيفية تأطير الأفكار والمعاني والدلالات واستثمارها في إعادة صياغة معاني وأفكار للتأثير على الرأي العام من أجل خدمة قضية معينة، كما هو حال القضية الفلسطينية. حيث يمارس الخطاب دوراً مهماً في التأثير على الرأي العام، وتوجيهه نحو القضايا الأساسية في العالم.[6] إنّ محاولة فهم الصراع الهوياتي الفلسطيني–الإسرائيلي بشكل جلّي، والتعرف إلى أبرز عناصر وأدوات إعادة إنتاج الهوية الفلسطينية من منظور مقاوم يسعى للتأكيد على شرعية المقاومة، يتطلب تحليل السرديّات الخطابية التي تم التعبير عنها، وبشكل خاص أثناء سياقات الصراعات والحروب، حيث تؤثر هذه السياقات على إعادة صياغة وتأطير وتوظيف المعاني في التأكيد على مركزية القضية الفلسطينية من جهة، ومحاولة كسب الرأي العام العالمي الرسمي والشعبي من خلال تبرير وتوضيح أهداف طوفان الأقصى من جهة أخرى.

وبناءً عليه، تسعى هذه الدراسة إلى فهم مدى قدرة خطاب المقاومة الفلسطينية–حماس في تشكيل خطاب مقاوم يبرز شرعية المقاومة المسلحة بشكل خاص، لضمان ديمومة العمل النضالي الذي كفلته الأعراف والشرعية الدولية، من الفترة 2023 إلى 2024، منذ بداية أحداث الطوفان، وحتى اغتيال اسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس. وذلك من خلال فحص بنية الخطاب السردي، وكيفية استخدام الفكرة المركزية "النقطة العقدية"، وهي "شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني" من خلال توظيف دلالات عائمة لتعطي مزيداً من الثبات للخطاب في ظل التنافس والصراع الهوياتي الفلسطيني–الإسرائيلي ضمن الخطابات مثل: "حماية المسجد الأقصى، والمقاومة المسلّحة، والاستيطان، وتحرير الأسرى". وللقيام بذلك، سيتم اعتبار مستويات الخطاب المقاوم: السيّاسي–الدولي (خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في الخارج)، والسياسي–الوطني والإقليمي (اسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس)، والميداني العسكري (أبو عبيدة، الناطق الرسمي باسم كتائب عز الدين القسّام–حركة حماس)، وسيتم ذلك من خلال تحليل بعض خطاباتهم بالاستناد إلى نموذج Laclau and Mouffe.

تهدف الدراسة إلى استكشاف خصائص الخطاب المقاوم، ومدى قدرته في التأكيد على شرعية المقاومة بعد عملية طوفان الأقصى. وتكمن إشكالية الدراسة في الآتي: بالرغم من محدودية وسائل الاتصال التابعة للمقاومة وبساطتها مقارنة مع الإعلام الجماهيري العالمي المنحاز للرواية الإسرائيلية والتي تصف المقاومة بالإرهاب، عمل خطاب المقاومة الفلسطينية–حماس نسبياً في التأكيد على شرعية المقاومة، ومحاولة التأثير على الرأي العام العالمي من حيث إعادة تشكيل خطاب فلسطيني مقاوم يؤكد على شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني. بالتالي فإنّ السؤال الرئيس للدراسة هو: كيف أعاد الخطاب المقاوم التأكيد على فكرة شرعية المقاومة وثبات الحق

1 ALEXANDER WENDT, SOCIAL THEORY OF INTERNATIONAL POLITICS (Cambridge Univ. Press 1999).

2 NICHOLAS GREENWOOD ONUF, WORLD OF OUR MAKING: RULES AND RULE IN SOCIAL THEORY AND INTERNATIONAL RELATIONS (Univ. of S.C. Press 1989).

3 NORMAN FAIRCLOUGH, DISCOURSE AND SOCIAL CHANGE (Polity Press 1992).

4 MICHEL FOUCAULT, THE ARCHAEOLOGY OF KNOWLEDGE (A.M. Sheridan Smith trans., Pantheon Books 1972); MICHEL FOUCAULT, DISCIPLINE AND PUNISH: THE BIRTH OF THE PRISON (Alan Sheridan trans., Vintage Books 1977); ERNESTO LACLAU & CHANTAL MOUFFE, HEGEMONY AND SOCIALIST STRATEGY: TOWARDS A RADICAL DEMOCRATIC POLITICS (Verso 1985); ONUF, *supra* note 2; NORMAN FAIRCLOUGH, LANGUAGE AND POWER (Longman 1989); DAVID CAMPBELL, WRITING SECURITY: UNITED STATES FOREIGN POLICY AND THE POLITICS OF IDENTITY (Univ. of Minn. Press 1992); MARTHA FINNEMORE, NATIONAL INTERESTS IN INTERNATIONAL SOCIETY (Cornell Univ. Press 1996); TEUN A. VAN DIJK, IDEOLOGY: A MULTIDISCIPLINARY APPROACH (Sage Publ'ns 1998).

5 LACLAU & MOUFFE, *supra* note 4.

6 RUTH WODAK, THE DISCOURSE OF POLITICS IN ACTION: POLITICS AS USUAL (Palgrave Macmillan 2009).

الفلسطيني بطريقة مكّنته من تبرير ودعم أهداف طوفان الأقصى؟ وانطلاقاً من هذا السؤال، تفترض الدراسة أنّه: كان لطوفان الأقصى دوراً مهماً في إعادة تأطير وإنتاج فكرة شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني في الخطاب المقاوم مما أثر على الرأي العام العالمي إيجابياً.

تستند حجة الدراسة المركزية إلى ما يلي: إنّ خطاب حركة المقاومة الإسلامية–حركة حماس استطاع التأكيد على شرعية المقاومة لخدمة أهداف طوفان الأقصى، من خلال إعادة إنتاج الهوية الفلسطينية بالاستناد إلى إعادة تأطير فكرة شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني وذلك عن طريق إعادة توظيف دلالات فكرية، أسهم سياق طوفان الأقصى في إعادة تشكيلها، كما أنّ وضوح أهداف طوفان الأقصى، وطريقة معاملة الأسرى، وتماسك ومصداقية الخطاب المقاوم ضمن المستويات السياسية والميدانية، والذي اعتمد أسلوب التوثيق بالفيديوهات القصيرة أسهم أيضاً بذلك الدور. سيتم فحص الفرضية بالاستناد إلى النظرية البنائية، وللإجابة عن تساؤلات الدراسة، سيتم الاعتماد على تحليل بعض الخطاب المقاوم–حركة حماس بشكل مُعمّق، من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي السردي، بالاستناد إلى أدوات جمع البيانات المختلفة والسرديّة كالخطاب السياسي لثلاث من قيادات حماس من السياسيين والعسكريين. للقيام بذلك، ستبحث الدراسة في المبحث الأول أهمية الخطاب في تشكيل الهوية وتوجيه الرأي العام، فيما سيتم تحليل الدلالات الفكرية في الخطاب المقاوم خلال طوفان الأقصى في المبحث الثاني.

## 2. المبحث الأول: أهمية الخطاب في تشكيل الهوية وتوجيه الرأي العام

### 2.1. المطلب الأول: فهم الظاهرة السياسية بعدسة اجتماعية: أهمية الخطاب والهوية

على الرغم من هيمنة النظرية الواقعية التقليدية والكلاسيكية لفترة طويلة على الأدب السياسي، إلا أنّ البنائية شكّلت تحدياً كبيراً للواقعية منذ بدايات تسعينيات القرن العشرين بقدرتها التنبؤية والتي فسّرت النهاية المفاجئة لحقبة الثنائية القطبية، والتي لم تتنبأ بها النظريات السائدة آنذاك، باعتبارها نتيجة للتغيير الاجتماعي الهوياتي الذي حدث بسبب تحول النظام السياسي المحلي والدولي.[7]

تُقدم البنائية الاجتماعية تفسيراً أفضل للعلاقة بين الفاعل والبنية على أساس معياري، حيث تبرز دور الأفراد والجماعات والهياكل الاجتماعية في التأثير على الظاهرة السياسية، وهذا يُساعد على فهم التفاعل الاجتماعي الذي يُصوّر العناصر المُكوّنة للعالم الاجتماعي، وكيف يُمكن للعناصر الفكرية والهويات والمعاني أن تُشكّل مصالح متبادلة، ومن ثم تُشكّل السياسات. يُركز ويندت[8] بشكل أكبر على تأثيرات هياكل الأفكار على الفاعلين. وبصفته بنائياً، يُشدد على هذا التفاعل أكثر من غيره من الباحثين. ويُؤكد على أنّ العناصر الثلاثة للنظام الاجتماعي هي كما يلي: الظروف المادية، والمصالح، والأفكار.[9] ويتفق ويندت مع العديد من الباحثين على أنّ "الوكالة المؤسسية" هي نوع من الهياكل التي تتيح للأفراد فرصة الانخراط في "عمل جماعي مؤسسي".[10]

فقد بيّن ويندت،[11] أنّ جوهر الاختلافات بين الواقعية البنيوية الجديدة والبنائية يكمن في أصل هيكل النظام الدولي، حيث يُجادل الواقعيون الجدد بأنّه يتكوّن من "توزيع للقدرات المادية"، بينما يُجادل البنائيون بأنّه نتاج "العلاقات الاجتماعية"، حيث يتكوّن الهيكل الاجتماعي من ثلاث مكوّنات هي: الممارسات، والموارد المادية، والمعرفة المشتركة.[12] أما على المستوى النظري، فيشير النهج الوضعي إلى حالة من عدم اليقين تجاه عالم اجتماعي مُتصوَّر، حيث لا يُمكن معرفة العالم الاجتماعي بالكامل من خلال النهج الوضعي، بينما يُجادل البنائيون بأنّ "معتقدات الأفراد وتفضيلاتهم لا يُمكن استنتاجها من افتراضات مُسبقة حول الطبيعة البشرية، بل إنّها تُبنى في بيئة اجتماعية."[13]

وبالاستناد إلى ما سبق، فإنّ الإطار النظري البنيوي يساهم في فهم الظواهر السياسية ذات البعد الاجتماعي واللغوي للاحتلال والمتمثلة في النضال ومقاومة الاحتلال من خلال مقاربة تحليل الخطاب الذي يُعبّر عن ذلك. كما أنّها النظرية الأنسب كونها تعتبر أنّ للفواعل الاجتماعية–الأفراد والجماعات تأثير فاعل في النظام الدولي. حيث يمكن إسقاط ذلك على المقاومة الفلسطينية بشكل عام، وحركة حماس بشكل خاص. وفيما يتعلق بجوهر العلاقات الدولية، يهتم البنائيون الحداثيون وما بعد الحداثيين بكيفية تشكيل الممارسات المعرفية للذوات.[14] والافتراض الأكثر جوهرية في البنائية الاجتماعية هو أنّ جميع المعارف مبنية اجتماعياً، ويعني هذا الافتراض أنّ اللغة والمعاني والأفكار تؤثر على التجربة الإنسانية في إنتاج المعرفة وتفسيرها،[15] وعلى النقيض من البنائيين، يعتقد الواقعيون الجدد والليبراليون الجدد أنّ الفاعلين لا علاقة لهم بالهويات والمصالح لأنّها مُعطاة وخارجية المنشأ.[16]

وبالنظر إلى أنّ البنائية تُقدّر دور العناصر الفكرية للأفراد في بناء المصالح، ووضع السياسات، واتخاذ القرارات، فسمات مجتمع معين وظروفه الاجتماعية، كالمعايير والقيم، تُعدّ أساسية لفهم وتفسير، بل وحتى توقع، صنع سياساته وقراراته. تُعدّ المصلحة الوطنية مهمة للسياسة الدولية، ويمكن إسقاط هذا أيضاً على حركات التحرر والمقاومة في تعبيرها عن مصالحها في ظل غياب نظام وكيان سياسي يقوم بهذه المهمة، وفي هذا السياق يمكن اعتبار طوفان الأقصى عنصر مادي جمع حوله خطاباً جديداً عن شرعية المقاومة المسلحة بشكل خاص.

يعتمد بناء الأفكار والمعاني أساساً على تصورات وافتراضات وأيديولوجيات وتجارب معينة، حيث تعمل الأفكار كأسباب تُسهم في إحداث نتيجة، في هذا السياق، تُعدّ العناصر الفكرية أحد أكثر العوامل تأثيراً في إنتاج السياسة. وقد نظر الباحثون إلى حد كبير في الدور الفعّال للأفكار والمعتقدات والمعاني في التأثير على السياسات أو توجيهها أو بنائها، بحيث تكتسب هذه الأفكار أهمية كلما تم تضمينها في خطاب نخبوي في سياق معين ذي قيمة عالية ويتضمن بعض القضايا البارزة. إنّ ورود فكرة شرعية المقاومة والتأكيد عليها في خطابات الصف الأول لحركة المقاومة يعطي انطباعاً حول مدى الإيمان بها، والإصرار على عدم التنازل عنها.

ومن هنا نستنبط أنّ للغات والخطابات تأثيرٌ حاسمٌ على السياسات، إذ أنّها تُزوّد صانعي السياسات بمعاني مواقفهم السياسية. تُعدّ اللغات والخطابات، التي تتكوّن من مُفردات وقواعد ورموز وسرديات وما شابه، عامةً بالضرورة، وبالتالي مُشكّلة ومُتاحة بين الأشخاص، حيث يُمكن للغة الخطابية

7 Richard Price & Christian Reus-Smit, *Dangerous Liaisons? Critical International Theory and Constructivism*, 4 EUR. J. INT'L REL. 259 (1998).

8 WENDT, *supra* note 1.

9 *Id.*

10 *Id.*

11 Alexander Wendt, *Constructing International Politics*, 20 INT'L SEC. 71 (1995).

12 WENDT, *supra* note 1.

13 Robert Henry Cox, *The Social Construction of an Imperative: Why Welfare Reform Happened in Denmark and the Netherlands but Not in Germany*, 53 WORLD POL. 463, 473 (2001).

14 WENDT, *supra* note 1.

15 NICHOLAS GREENWOOD ONUF, MAKING SENSE, MAKING WORLDS: CONSTRUCTIVISM IN SOCIAL THEORY AND INTERNATIONAL RELATIONS (Routledge 2012).

16 John Gerard Ruggie, *What Makes the World Hang Together? Neo-Utilitarianism and the Social Constructivist Challenge*, 52 INT'L ORG. 855 (1998).

أن تؤثر على السياسة لأنّها تنشأ من دور العناصر بين الأشخاص في اللغة الرمزية. لذلك، يتطلب فهم المعاني اتباع قواعد قائمة على الاستخدام المتكرر، وليس على العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تُسميها، على سبيل المثال، "ضرورة أن تكون الأسلحة النووية استثنائية وغير استثنائية في آنٍ واحد، وأن يكون معناها ثابتاً وقابلاً للتغيير في آنٍ واحد."[17]

تُركز جميع مناهج الخطاب على بنية الدلالة كنظرية معرفية، حيث تفترض البنائية الاجتماعية أنّ التفاعل الاجتماعي واللغة يُولّدان المعرفة ويُطوّرانها، ولتزويد الناس بمعرفة الواقع الاجتماعي، حيث يُعرّف فيركلو الخطاب بأنّه ممارسة تُشير إلى العالم المُمكن وتُمثله، حيث يقول بأنّ الخطابات "هي طرق لتمثيل جوانب العالم – عمليات وعلاقات وهياكل العالم المادي، و"العالم العقلي" للأفكار والمشاعر والمعتقدات والعالم الاجتماعي."[18] بينما يرفض لاكلو وموفي[19] التمييز بين الممارسة الخطابية و"غير الخطابية". ويؤكد تحليلهما على أنّ كل موضوع يُبنى كموضوع للخطاب، وليس مُعطى خارجياً لكل عرض خطابي للظهور.[20] فالخطاب هو ممارسة لا تمثل العالم الفعلي فحسب، بل يمكنها أيضاً أن تشير إلى العالم المحتمل وتمثله، "وتبني وتشكل" العالم بالمعنى.[21]

في النظرة التقليدية، غالباً ما يُفهم الخطاب على أنّه مجرد أداة لوصف الأفكار أو عكس الواقع، أما بالنسبة للاكلو وموفي فالخطاب يُنتج الواقع الاجتماعي نفسه. فهو لا يعكس الواقع فحسب، بل يُشكله. ما نعتبره "واقعاً" (مثل الديمقراطية والحرية والأمة، والهوية) ليس مُعطى مسبقاً، بل يُبنى من خلال سلاسل من المعاني والعلاقات الخطابية، مثلاً: قد يعني مصطلح "الحرية"، الحرية الفردية في الخطاب الليبرالي، أو التحرر الوطني في الخطاب المناهض للاستعمار، أو التحرر الاجتماعي والاقتصادي في الخطاب الاشتراكي، فمعناه ليس ثابتاً، بل مشروطاً بالتكوين الخطابي الذي يندرج فيه في مواجهة النظريات الجوهرية التي تُعامل الهوية على أنّها ثابتة ومتأصلة، مثل الهوية الطبقية الثابتة في الماركسية الكلاسيكية، حيث يُجادل لاكلو وموفي بأنّ الهوية بناء اجتماعي وخطابي.[22]

لا يمتلك الأفراد والجماعات هويات سياسية أو ثقافية كاملة ومُحددة مسبقاً، بل يتم تموضعها وتمثيلها داخل الخطاب. تظل هذه الهويات دائماً ناقصة، ومتغيرة، وقابلة لإعادة التفاوض، لأنّها مرتبطة بسياقات سياسية واجتماعية متغيرة باستمرار حيث يتم تفسير مفهومهما بما يُسمّى بـ"سلاسل التكافؤ" بطريقة تربط المطالب والهويات المختلفة، مثل العمال والنساء والأقليات، معاً في هوية سياسية أوسع، مثل حركة ديمقراطية راديكالية، وهكذا. إنّ الهوية ليست جوهراً، بل هي نتاج صراعات مستمرة على التمثيل داخل الخطاب، مثلاً: افترضت الماركسية التقليدية أنّ للطبقة العاملة هويةً جوهريةً مستقرةً، متجذرةً في وضعها المادي ضمن علاقات الإنتاج.[23]

## 2.2. المطلب الثاني: موقع الهوية الوطنية في الخطابات الفلسطينية

برز مفهوم الهوية الوطنية باعتباره متغير مستقل مع صعود النظرية البنائية. حيث لعبت الهويات الوطنية دوراً بارزاً أدى لانتهاء ظاهرة الحرب الباردة، وهو التفسير الذي لم تستطع أن تقدمه أو تتوقعه النظرية الواقعية سواءً الكلاسيكية أو البنيوية أو غيرها من النظريات الأخرى. هنالك الكثير من التعريفات التي توضح مفهوم الهوية الوطنية، منها ما بيّنه أندرسون في كتابه "المجتمعات المتخيلة: تأملات في أصل وانتشار القومية"، عندما اعتبرها مجتمع سياسي مُتصور، محدود ويتمتع بالسيادة وليس تركيباً عضوياً أو طبيعياً، ويميزه الأفراد من خلال صورة ذهنية تعبّر عن انتمائهم.[24] في حين يرى ويندت أنّ الهوية "خاصية للفاعلين الدوليين تُولّد تصرفات تحفيزية وسلوكية"، وأضاف أنّ الهوية مهمة وجوهرية للمصالح، وبالتالي فهي أساسية.[25]

يمكن فهم الهوية الوطنية حسب منظور بنائي باعتبارها تفاعل "نحن" مع "هم" بمعنى كيف تتصور الدولة نفسها، وكيف تتصور الآخر في سياق العلاقات الدولية. كما أنّها تؤثر في تشكيل المصلحة الوطنية.[26] من ناحية أخرى، يدّعي البنائيون أنّ الهويات هي المسؤولة عن تشكيل المصالح، التي تُحدد جزئياً من خلال معايير على مستوى النظام. ويرون أنّ العلاقات الدولية ذات طابع اجتماعي عميق: "كمجال عمل تُنظّم فيه القواعد بين الذاتية خطابياً هويات ومصالح الدول والجهات الفاعلة الأخرى والمعايير والمؤسسات."[27] ويُعتبر ميرشايمر[28] مؤسس الواقعية الهجومية، والذي يزعم أنّ المؤسسات لا تحقق تأثيراً ملموساً على السلام والاستقرار العالميين، ليس فقط لأن المؤسسات في حد ذاتها غير قادرة على التأثير بشكل حساس على سلوك الدول، ولكن لأنّها أيضاً مجرد انعكاس لتوزيع السلطة بين الدول.[29] لذا فإنّ فهم دوافع طوفان الأقصى خطابياً مبني على إعادة تشكيل مفهوم المقاومة الفلسطينية "نحن" والاحتلال الإسرائيلي "هم"، وكيف يسهم إعادة تشكيل الهوية في تحقيق المصلحة الوطنية الفلسطينية في التحرر.

تتميز الهوية الفلسطينية بتنوع وغنى مصادرها؛ العربية، والإسلامية، والمسيحية، حيث اسهمت العديد من المحطات التاريخية والسياسية في ضمان حيويتها وديمومتها حتى في ظل الاحتلال الإسرائيلي. حيث تطور الوعي الوطني الفلسطيني كجزء من عملية أوسع لتكوين الهوية في أواخر العهد العثماني والانتداب البريطاني، وتشكلت بفعل ديناميكيات محلية وإقليمية وعالمية. يؤمن البعض بأنّ الهويات تُبنى تاريخياً، وهي مرنة، ومتنازع عليها، وليست خالدة أو ثابتة، ويُظهر كيف طوّر الفلسطينيون انتماءات متعددة ومتداخلة: نحو المدن والمناطق المحلية (القدس، نابلس، يافا)، نحو الهوية العربية الأوسع، نحو المجتمعات الدينية، وفي نهاية المطاف نحو هوية فلسطينية متميزة لا سيما في ظل ضغوط الإمبريالية والإدارة الاستعمارية وصعود القوميات المتنافسة.[30]

ويرى إدوارد سعيد أنّ الثقافة – الأدب واللغة والتاريخ – تُمثل مساحة حيوية لاستعادة الصوت والفاعلية في مواجهة الخطابات المهيمنة التي سعت إلى نفي الوجود الفلسطيني. كما ينتقد تواطؤ الولايات المتحدة والغرب في دعم النفوذ الإسرائيلي، مشيراً إلى كيف يُصوّر المستشرقون العرب على أنّهم

17 Laura Considine, *The Treaty on the Prohibition of Nuclear Weapons and the Question of Nuclear Meaning*, 7 CRITICAL STUD. SEC. 87, 89 (2019).

18 NORMAN FAIRCLOUGH, ANALYSING DISCOURSE: TEXTUAL ANALYSIS FOR SOCIAL RESEARCH 127 (Routledge 2003).

19 LACLAU & MOUFFE, *supra* note 4.

20 *Id.*

21 FAIRCLOUGH, *supra* note 3.

22 LACLAU & MOUFFE, *supra* note 4.

23 *Id.*

24 BENEDICT ANDERSON, IMAGINED COMMUNITIES: REFLECTIONS ON THE ORIGIN AND SPREAD OF NATIONALISM (rev. ed., Verso 2006).

25 WENDT, *supra* note 1, at 224.

26 *Id.*

27 Christian Reus-Smit, *Imagining Society: Constructivism and the English School*, 4 BRIT. J. POL. & INT'L REL. 487, 488 (2002).

28 John J. Mearsheimer, *The False Promise of International Institutions*, 19 INT'L SEC. 5 (1994).

29 *Id.*

30 RASHID KHALIDI, PALESTINIAN IDENTITY: THE CONSTRUCTION OF MODERN NATIONAL CONSCIOUSNESS (Columbia Univ. Press 1997).

مجردون من إنسانيتهم، ويُطبّعون تهجيرهم. لذا، فإنّ النضال الفلسطيني ليس مادياً فحسب، بل رمزياً أيضاً: نضالٌ من أجل أن يُرى ويُسمّى ويُمثّل. يربط سعيد هذا بنضالات ما بعد الاستعمار الأوسع، مُصراً على أنّ القضية الفلسطينية تُجسّد تقاطع الإمبريالية والهوية والمقاومة.[31]

من جهة أخرى، يكشف ليتفاك[32] في كتابه "الذاكرة الجماعية الفلسطينية والهوية الوطنية" كيفية تُشكّل ممارسات الذاكرة الوعي الوطني الفلسطيني والمحافظة عليه. ويُركّز على أنّ الهوية الفلسطينية تُبنى تاريخياً واجتماعياً، وتُتداول باستمرار من خلال تجارب التهجير المُعاشة وأفعال التذكر الرمزية، ويدلل على أنّ أحداثاً مثل نكبة 1948 وتجربة الاحتلال المُستمرة ليست أزماتٍ سياسيةً واجتماعيةً فحسب، بل تُمثّل أيضاً نقاطاً مرجعيةً رئيسيةً يتبلور حولها الشعور بالانتماء والهوية الجماعية. وبهذا المعنى، تُعدّ الذاكرة أداءً: فهي تُمكّن الفلسطينيين من تأكيد وجودهم وشرعيتهم وحقوقهم، على الرغم من التشرذم المادي والتهميش السياسي. هناك أبعاداً متعددة للذاكرة، بما في ذلك التاريخ الشفوي، والفولكلور، والأدب، والطقوس العامة، والممارسات التذكارية كاحتفالات النكبة السنوية. تُنشئ هذه الممارسات سرديات مشتركة تُعزز التضامن داخل المجتمعات الفلسطينية، سواءً في فلسطين التاريخية أو في الشتات.

تسهم المدارس، ووسائل الإعلام، والمنظمات السياسية في تشكيل الذاكرة الجماعية ونقلها عبر الأجيال وبالتالي تعتبر الهوية الفلسطينية ديناميكية ومتنازع عليها؛ فالذاكرة ساحة صراع، حيث تتقاطع السرديات المتنافسة – السياسية، والدينية والأيديولوجية – وتتعارض أحياناً. ويُشدد البعض على أنّ فهم الهوية الفلسطينية يتطلب تحليل كيفية عمل الذاكرة كأداة خطابية، تُشكل التصورات، والرأي العام، والعمل السياسي.[33] إنّ نكبة عام 1948 لم تُنشئ الهوية الفلسطينية، بل أعادت تعريفها وترسيخها في ظل ظروف جديدة من النفي والاحتلال والمقاومة. ويطرح سعيد نظرية أوسع: أنّ الهويات الوطنية لا تُخترع من العدم، وليست بدائية؛ بل تُبنى وتُتفاوض وتُحافظ عليها عبر التاريخ والثقافة والخطاب.[34]

في كتابه "القضية الفلسطينية" يُقدّم سعيد[35] أحد أكثر الروايات تأثيراً في التجربة الفلسطينية، مُركّزاً على القوى التاريخية والثقافية والسياسية التي شكّلت الهوية الفلسطينية ونضالها. حيث يُحدّد سعيد القضية الفلسطينية ليس فقط كصراع على الأرض، بل كمسألة عميقة تتعلق بالتهجير والتمثيل والعدالة. ويُجادل بأنّ الشعب الفلسطيني حُرم منهجياً من الاعتراف به، سياسياً وتاريخياً وخطابياً، من خلال ما يُسمّيه "محو" وجوده في السرديات الغربية، وخاصة الصهيونية. ويُعدّ هذا الإسكات، بالنسبة له، أمراً محورياً لفهم كيفية تشكيل الرأي العام والسياسات الدولية لإضفاء الشرعية على إسرائيل مع تهميش الفلسطينيين. أنّ الهوية الفلسطينية لا تنفصل عن تجربة المنفى والنزوح، لا سيما بعد نكبة عام 1948، عندما طُرد مئات الآلاف من الفلسطينيين أو فروا من وطنهم. أصبحت هذه الصدمة نقطة توحيد تبلور حولها وعي وطني حديث. استطاع الفلسطينيون، رغم التشرذم والشتات، بناء شعور مشترك بالهوية من خلال الذاكرة والمقاومة والإنتاج الثقافي.

## 3. المبحث الثاني: نموذج لاكلاو وموفي: تحليل تطبيقي للدلالات الفكرية في خطاب للمقاومة

إنّ محاولة فهم وحدة خطابات المقاومة، من حيث درجة اتساقها، وطريقة التعبير عنها، ودرجة تأثرها بالسياق العام سواءً السياسي الخارجي والداخلي أو العسكري الميداني، يتطلب هذا تحليل بعض الخطابات ذات العلاقة بالفكرة الأساسية "النقطة العقدية" وهي شرعية المقاومة في الدفاع عن ثبات الحق الفلسطيني ضمن مستويات الخطاب المقاوم: السيّاسي–الدولي (خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في الخارج)، وهذا يزودنا بفهم سياسي للاستخدام البلاغي للنقطة العقدية من حيث كيفية التعبير عنها بسياقات دولية بشكل تأخذ بالاعتبار القانون الدولي والإنساني، والقوى الكبرى. وأيضاً، الخطاب السياسي–الوطني والإقليمي (اسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس)، حيث تسهم خطابات هنيّة بتقديم مرحلة متوسطة بين الخطاب السياسي الدولي والخطاب العسكري الميداني، وبالتالي تعكس الثوابت الوطنية وكيفية اتساقها مع السياق الإقليمي العربي والإسلامي. وأخيراً الخطاب الميداني العسكري (أبو عبيدة، الناطق الرسمي باسم كتائب عز الدين القسّام–حركة حماس)، والذي يساهم في فهم وتقييم درجة الاتساق مع خطابات القيادة السياسية، ومدى تأثير الميدان كسياق على التعبير عن النقطة العقدية المذكورة بالأعلى. حيث تم الاعتماد على بعض خطاباتهم المتوفرة في الإنترنت، والتي ركّزت على هذه الفكرة بشكل أساسي، حيث هناك شح في بعض المصادر والبيانات بسبب ما تفرضه طبيعة الحرب على قيادات الحركة بشكل أساسي.

### 3.1. المطلب الأول: طوفان الأقصى: محطة من محطات الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني

كان لضعف الدولة العثمانية في آواخر عهدها، وخسارتها للحرب العالمية الأولى 1919، وصدور وعد بلفور 1917، والدور الاستعماري البريطاني دوراً حاسماً في نشأة المعاناة الفلسطينية مع الاحتلال الإسرائيلي لاحقاً. وبالرغم من الدور المحوري الرافض للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والذي لعبه العرب منذ العام 1947 برفض قرار التقسيم، والمشاركة في حروب 1948، 1967، ومعركة الكرامة 1968، وحرب أكتوبر 1973، إلا أنّ توقيع مصر على اتفاقية كامب ديفيد عام 1979 كان استدارة قوية للعمل العربي المشترك عن دعم القضية الفلسطينية. وبالرغم من ذلك، لم تتوان الدول العربية عن معاقبة مصر بطردها من الجامعة العربية ونقل مقرها لتونس، إلا أنّ هذا لم يكن مؤثراً في اتخاذ موقفاً حازماً تجاه إسرائيل أو من يدعم إسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر.

#### 3.1.1. نشأة حركات المقاومة الإسلامية المسلحة–حماس

نتيجة لاضمحلال الدور العربي المؤازر للقضية الفلسطينية، بادر الفلسطينيون لتشكيل أطر تنظيمية لتعبئة الجهود من أجل مقاومة الاحتلال، وقد أخذت هذه الأطر نمطين: نمط المقاومة السياسية والدبلوماسية والذي تبنّته منظمة التحرير الفلسطينية والتي تأسست عام 1964، واعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني بقرار جامعة الدول العربية عام 1974، حيث جنحت لاحقاً نحو العمل الدبلوماسي والسياسي وتخلت عن الكفاح المسلح الذي تبنّته من بداية تأسيسها. ولقد أنتجت هذه المنظمة لاحقاً السلطة الوطنية الفلسطينية كمخرج لاتفاقية أوسلو 1993. فيما يتشكل النمط الآخر من المقاومة المسلحة، والتي تبنّته حركتي الجهاد الإسلامي وحماس في ثمانينيات القرن المنصرم. على الرغم من ذاتية ووطنية تشكيل هذه الحركات، إلا أنّ الدعم الإيراني لها كان مؤثراً ونوعياً في مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي. حيث تأسست حركة الجهاد الإسلامي خلال فترة الثمانينيات على يد فتحي الشقاقي، وكان هناك هدف موحد بأهمية استمرار المقاومة المسلّحة، حيث موّلت إيران الحركة بالدعم الذي تحتاجه في مقاومة إسرائيل حتى غدت

31 EDWARD W. SAID, THE QUESTION OF PALESTINE (Vintage Books 1979).

32 PALESTINIAN COLLECTIVE MEMORY AND NATIONAL IDENTITY (Meir Litvak ed., Palgrave Macmillan 2009).

33 *Id.*

34 *Id.*

35 SAID, *supra* note 31.

إيران الداعم الرئيس لها، إن لم تكن الوحيد، خلال نهاية الثمانينيات.[36] وفي السياق الفلسطيني، قامت إيران أيضاً بدعم حركة حماس خاصة بعد حرب الخليج الثانية 1991 حيث أظهرت حماس مقاومة شديدة وعمليات نوعية ضد الاحتلال، وتعزز ذلك بعد تأسيس "كتائب الشهيد عزّ الدين القسّام".[37]

وكان للانتفاضتين الأولى 1987–1993 والثانية 2000–2005 دوراً بارزاً في توثيق العلاقات مع المقاومة بالنظر للنتائج المتحققة وخاصة تلك التي عبّرت عن معارضة اتفاقيات أوسلو، كما كان الدعم العسكري[38] واللوجستي الإيراني حاضراً للمقاومة خلال الحروب التي شنّتها إسرائيل على قطاع غزة 2008، 2012، 2014، 2021، 2023. ولقد تأسست حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الرابع عشر من ديسمبر عام 1987 مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، حيث ينظر لها بوصفها امتداداً لحركة الإخوان المسلمين في فلسطين. جاءت نشأتها لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وإحساساً عاماً بضرورة تبنّي مشروع مقاوم يجمع بين الهوية الدينية والهدف الوطني. اعتمدت الحركة، لأسباب مختلفة، منذ بداياتها على تقديم الإسلام كمنهج شامل للتحرير والمجتمع، وانطلقت من فكرة أنّ مقاومة الاحتلال هي فريضة دينية "جهاد" وواجب وطني في آنٍ واحد. أسس الشيخ أحمد ياسين الحركة وكان بمثابة المرجعية الفكرية والرمزية الأولى للحركة، والذي أكد على أنّ الإسلام هو الإطار المتبنى والذي ينظّم العمل السياسي والمقاومة الفلسطينية.[39]

تقوم عقيدة حركة حماس على فكر الإخوان المسلمين في رؤيتها للإصلاح والمقاومة المسلّحة، لكنّها أضافت إليه بعداً وطنياً خاصاً. حيث ربطت بين المشروع الإسلامي والتحرر الوطني، معتبرةً أنّ تحرير فلسطين هو مسؤولية دينية ووطنية. تميزت إدارة حماس بكونها تجمع بين المركزية في القرارات السياسية واللامركزية في الأعمال الميدانية، مما منحها مرونة في التكيف مع الضغوط الأمنية. وكان لتأسيس الذراع العسكري للحركة كتائب الشهيد عز الدين القسام، في بداية التسعينيات، أثراً كبيراً في حجم التأثير والفاعلية، والذي مكّن الحركة من لعب أدوار سياسية وعسكرية نوعية.[40] ومن أبرز الدوافع التي أسهمت بتأسيس حركة حماس: الاضطراب السياسي والانتفاضة الأولى، وتراجع الثقة في منظمة التحرير الفلسطينية، خصوصاً بعد إخفاقها في تحقيق تقدم ملموس في مشروع التحرير الوطني، وازدياد القمع الإسرائيلي في الأراضي المحتلة. ومما شكّل قوة للحركة وخاصة في بداية انطلاقتها، الاستفادة من مخرجات العمل الاجتماعي والخيري والتي أنشأها الإخوان في غزة والضفة، حيث أسهم هذا في توسيع دائرة الانتساب للحركة والإيمان ببرنامجها. ولقد ساعدت هذه الشبكات في عمل تحويلي أطّر الغضب الشعبي إلى طاقة منظمة للمقاومة.[41]

في بداية انطلاقها، اعتمدت حركة حماس على دعم شعبي واسع من داخل الأراضي الفلسطينية عبر شبكات المساجد، الجمعيات الخيرية، والزكاة فيما كان لإيران وقطر ودول أخرى لاحقاً دوراً بارزاً في تقديم الدعم المالي والسياسي، وفي أحيان كثيرة تجاوزت إيران هذين الشكلين من الدعم لتقدم دعماً عسكرياً بأشكال مختلفة ضمن ظروف محددة، ولا يمكن إنكار دور الجاليات الفلسطينية والعربية في الخارج. وكان لشخصيات قيادية مثل الشيخ أحمد ياسين، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي، واسماعيل هنيّة، وخالد مشعل تأثيراً واضحاً على مسار الحركة نحو المقاومة الشاملة، والتي تجمع بين المقاومة السياسية والاقتصادية والعسكرية وهذا مكّن الحركة من القيام بدور محوري في المشهد الفلسطيني.[42]

ولقد نجحت الحركة في إعادة تأطير مفاهيم ثورية كثيرة ومنها التحرير والمقاومة ضمن سياق واقعي جديد وخاصة بعد طوفان الأقصى وهذا بدوره وجّه الحركة نحو تبني استراتيجية "الصمود" المنوّعة وذلك بالاعتماد على المقاومة المسلحة والشعبية والإعلامية.

وكان للتجربة الديمقراطية التي خاضتها الحركة، وفازت بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي عام 2006، معالم مرحلة جديدة خاضتها الحركة جمعت بين المقاومة وممارسة السلطة.[43] وبالرغم من شرعية النتيجة، إلا أنّ الحركة اضطرت أن تدخل في صدامات داخلية انتهت بسيطرتها على قطاع غزة 2007. اعتنت حماس منذ تأسيسها عام 1987 بملف الأسرى الفلسطينيين، حيث يقبع الكثير من أعضائها خلف القضبان، وتنظر إليه باعتباره محطة حاسمة من محطات الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي. ولقد أبدت حركة حماس قدرة في التعاطي مع هذا الملف كان أبرزها صفقة وفاء الأحرار عام 2011 التي أطلقت أكثر من 1027 أسيراً فلسطينياً مقابل الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، في واحدة من أكبر عمليات تبادل الأسرى مع الاحتلال الإسرائيلي.

لطالما كان ملف الأسرى أحد أكثر القضايا الإنسانية والسياسية الشائكة والموترة للصراع الفلسطيني–الإسرائيلي. تتبع سلطات الاحتلال الإسرائيلي سياسات قمعية ممنهجة في تعاملها مع الأسرى الفلسطينيين وخاصة النساء؛ من حيث توسيع قاعدة الاعتقال الإداري دون محاكمات قضائية والتعذيب الجسدي والنفسي خاصة أثناء التحقيق لانتزاع اعترافات أو إكراه الأسرى للاعتراف بما لم يقوموا به؛ وممارسة عقوبة العزل الانفرادي لفترات ممتدة؛ وأيضاً الإهمال الطبي المتعمد الذي أودى بحياة عدد كبير من المعتقلين؛ وحرمان الأسرى من الزيارات العائلية. وصدرت العديد من التقارير عن منظمات حقوقية دولية مثل "هيومن رايتس ووتش" و"بتسيلم" والتي وثّقت كيف استخدمت إسرائيل طرق تحقيق "قسرية" في تعاملها مع الأسرى وهذا يُعدّ انتهاك صارخ لاتفاقية جنيف الرابعة.[44] في الفهم الفلسطيني، لم تكن المقاومة حكراً على الرجل الفلسطيني، بل اعتبر أنّ المرأة الفلسطينية شريكة في مشروع التحرر، وهذا جعل منها رديفاً وشريكاً للرجل المناضل، حيث تبنّت المرأة أنماطاً من المقاومة جعلت منها ثائرة، ومقاومة، وأيضاً هدفاً للاعتقال والسجن. إنّ السياق القيّمي والأيديولوجي يضع المرأة في مرتبة عالية من حيث التقدير الاجتماعي، حيث تعتبر شرف الرجل، وصونها والدفاع عنها من متطلبات الرجولة والكرامة والمروءة.

ولقد كان لتضحيات الأسيرات الفلسطينيات موقعاً رمزياً خاصاً في

36 GILLES KEPEL, JIHAD: THE TRAIL OF POLITICAL ISLAM (Anthony F. Roberts trans., Belknap Press of Harvard Univ. Press 2002).

37 BEVERLEY MILTON-EDWARDS & STEPHEN FARRELL, HAMAS: THE ISLAMIC RESISTANCE MOVEMENT (Polity Press 2010).

38 خالد الحروب، **حماس: الفكر والممارسة السياسية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 2014.

39 سائد نبيه الغول، "الحركات الإسلامية في فلسطين: النشأة والأهداف (دراسة تحليلية)"، **المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية**، مصر، 2015.
MILTON-EDWARDS & FARRELL, *supra* note 37.

40 AZZAM TAMIMI, HAMAS: A HISTORY FROM WITHIN (Olive Branch Press 2007);
إبراهيم الديراوي، **كتائب القسام: التطور التنظيمي والعسكري**، مركز أطلس للدراسات، فلسطين، 2016.

41 خليل حمدان، **الإخوان المسلمون في فلسطين ودورهم في تأسيس حماس**، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الأردن، 2018؛
SARA ROY, HAMAS AND CIVIL SOCIETY IN GAZA: ENGAGING THE ISLAMIST SOCIAL SECTOR (Princeton Univ. Press 2011).

42 ZAKI CHEHAB, INSIDE HAMAS: THE UNTOLD STORY OF THE MILITANT ISLAMIC MOVEMENT (Nation Books 2007);
خالد الحروب، مرجع سابق.

43 Beverley Milton-Edwards, *The Ascendance of Political Islam: Hamas and Consolidation in the Gaza Strip*, 29 THIRD WORLD Q. 1585 (2008);
طارق بقعوني، **حماس: صعود المقاومة الفلسطينية ومحاولات احتوائها**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 2024.

44 B'Tselem, *Welcome to Hell: The Israeli Prison System as a Network of Torture Camps*, B'TSELEM (Aug. 2024), https://www.btselem.org/publications/202408_welcome_to_hell; Human Rights Watch, *Israel: Palestinian Healthcare Workers Tortured*, HUMAN RIGHTS WATCH (Aug. 26, 2024), https://www.hrw.org/news/2024/08/26/israel-palestinian-healthcare-workers-tortured.

المجتمع الفلسطيني، والمقاوم منه بشكل خاص، وذلك بسبب ما كشف عنه من ممارسات قاسية ومهينة يتعرّض لها؛ تمسّ الكرامة الإنسانية والعربية معاً. تلعب بعض المؤسسات الفلسطينية دوراً مهماً في كشف تلك الممارسات حيث وثّق نادي الأسير الفلسطيني حالات كثيرة من إجراءات إدارة السجون من حيث التفتيش العاري، والحرمان من تقديم الخدمة الصحية وتناول العلاج، وسياسة العزل في ظروف صعبة جداً وغير إنسانية، والتحرش اللفظي والاعتداء عليهن بوحشية أثناء التحقيق. هذه الانتهاكات والممارسات المتكررة أثارت الرأي العام الفلسطيني، وشكّلت موجات تضامن واسعة، وهذا بدوره عزّز الخطاب المقاوم الذي يرى في حفظ "كرامة الأسيرات" واجباً وطنياً ودينياً. لذلك، نجد أنّ البيان الأول للمقاومة، والذي أعلن عن طوفان الأقصى ربط بين هذه العملية العسكرية وضرورة الإفراج عن الأسرى والأسيرات الذين يتعرّضون لسوء المعاملة داخل السجون الإسرائيلية.[45] ومما فاقم ملف الأسرى، هو قيام إسرائيل بتنفيذ حملات اعتقال مكثفة في الضفة الغربية، حيث بات الاعتقال والتعذيب جزءاً من الحياة اليومية للفلسطينيين. وبعد حملة "كسر الزناد" التي استهدفت عشرات القاصرين والنساء، ترسّخت القناعة لدى الحركة بشكل خاص بضرورة الرد العسكري. وبذلك، شكّل طوفان الأقصى في الوعي الشعبي رداً مشروعاً وانتقامياً على الممارسات الإسرائيلية غير المعتبرة لقيم أو للقانون الدولي الإنساني.[46]

بدأت عمليّة طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023، من خلال شن حركة حماس والفصائل الفلسطينية هجوماً مفاجئاً على مراكز عسكرية ومستوطنات إسرائيليّة مجاورة لقطاع غزة، حيث استغلت حماس عنصر المفاجأة بعد التوترات التي شهدتها الضفة الغربية والقدس والمطالبات بتحسين ظروف الأسرى الفلسطينيين، وبخاصة السيدات. ولقد تمكّنت المقاومة في الأيام الأولى من العملية من اقتحام تلك المستوطنات والسيطرة على نقاط مراقبة حدودية، حيث خسرت إسرائيل في ذلك اليوم نحو 40 قتيلاً بين المدنيين والمستوطنين وجُرح أكثر من 700، بينما قُتل وجُرح وأسر عدد من الجنود الإسرائيليين. وبهذا، أصبح ملفّ الأسرى والرهائن هو ما تعتمد عليه الحركة من أجل إعادة الأسرى، حيث استخدمته المقاومة كورقة ضغط سياسية وميدانية، للضغط على إسرائيل من أجل تبادل الأسرى، وهذا عزّز من شرعية عملية طوفان الأقصى.

وبالرغم من الإجماع الداخلي الفلسطيني والعربي على ضرورتها ومشروعيتها، إلا أنّ عمليّة طوفان الأقصى أثارت ردود فعل دوليّة واسعة؛ حيث أدانت عدة دول ومنظمات الأمم المتحدة حركة حماس لقيامها بخطف المدنيين، وما صاحب ذلك من روايات حول قطع رؤوس الأطفال وحرق المدنيين وقتلهم، كما أدانوا لاحقاً إسرائيل بسبب توسّع العدوان وتأثيراته الإنسانية. وبهذا الشكل أسهمت عملية طوفان الأقصى في إعادة إنتاج صورة أخرى للصراع الفلسطيني الإسرائيلي عندما نقلته من الميدان إلى السياق السردي الخطابي، حيث تتنافس الأفكار والدلالات والمعاني ذهنياً وأدبياً وبلاغياً وذلك بالاعتماد على رصيدها من المصداقية المقرونة بالحجة والدليل.

### 3.2. المطلب الثاني: الدلالات الفكرية في خطاب المقاومة بعد طوفان الأقصى: إعادة تموضع بين الخطابات المتنافسة

تمارس اللغة المنطوقة والمكتوبة دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية اليومية؛ باعتبارها أداة تواصل وممارسة اجتماعية تبني المواضيع والحقائق بنظام من المعاني والأفكار. كما وتُعبّر عن الواقع من خلال أشكال عديدة مثل المحادثات اليومية، والمقابلات، والخطابات. إنّ بناء الخطابات يعتمد على السياق الثقافي والسلطوي والاجتماعي، حيث تتنافس الخطابات فيما بينها من خلال استثمار سياقات معينة وبالاستناد على ما تملكه من سلطة. وهذا يتم من خلال استخدام دلالات ومعاني وأفكار معينة تسعى للهيمنة على الخطابات المنافسة، من أجل اكتساب الصدارة والتأثير. لذا، فإنّ محاولة فهم ما وراء الخطابات يحتاج لتحليلها منهجياً، حيث تتعدد النماذج التحليلية للخطاب النقدي.

يُعتبر نموذج لاكلاو وموفي Laclau and Mouffe[47] من النماذج المعتمدة في تحليل الخطابات النقدية التي تسعى لفهم أهداف الخطابات وطرق بنائها من خلال توظيف النقاط العقدية "nodal points" وهي المفهوم المركزي الذي تنتظم حوله المعاني في الخطاب، والتأطير "framing" وهو العملية التي تتكامل من خلالها العناصر الخطابية لتُشكّل نظام معنى متماسك، والدلالات العائمة "floating signifiers"، وهي المفاهيم أو الرموز التي ليس لها معنى دائم، ويمكن أن تُستخدم في خطابات متعددة من خلال معانٍ مختلفة.

في السياق الفلسطيني، وبعد طوفان الأقصى، والذي أنتج تصورات متباينة استند بعضها على السرديات الإسرائيلية والتي اجتهدت لتظهر الطوفان باعتباره عملاً إرهابياً تم من خلاله قتل الأبرياء، واغتصاب النساء، وقطع رؤوس الأطفال. وفي المقابل، برزت سرديات فلسطينية منافسة تعمل على إعادة التأشير على القضية الفلسطينية، وتفنيد السرديات الإسرائيلية، وتبرير القيام بطوفان الأقصى، والأهم من ذلك وضعه ضمن سياق المقاومة للاحتلال الإسرائيلي. يمزج خطاب حركة حماس بين الدين والقومية؛ حيث يستند إلى إرث الإخوان المسلمين من خلال إعلاء قيمة الشريعة والدين كعنصر أصيل في الهوية الوطنية الفلسطينية، وهذا يسهم في وضع المقاومة في سياقها الأيديولوجي والديني باعتبارها واجباً دينياً إلى جانب كونه حقاً وطنياً. فخطاب المقاومة يعمل على تأطير الهدف ضمن سياقات قيمية تحريم الاعتداء على المسجد الأقصى، كما يتسم الخطاب أيضاً باستخدام الرموز الدينية والآيات القرآنية التي تعزز من الشرعية العقدية للخطاب.

وتبرز الخطابات الجاهزية والقدرات الميدانية وانعكاسها على القدرة على فرض الشروط على إسرائيل، كما يضمن خطاب المقاومة العديد من العناصر الفكرية التي تسرد الانتصارات أو العمليات النوعية، كما تذكر أرقاماً عسكرية دقيقة وبيانات تُستخدم لتعزيز ثقة المتلقي بقدرة الحركة على المقاومة. حيث يحاول خطاب المقاومة إظهار المصداقية، والتي يمكن التعبير عنها باعتبارها نقل الحقيقة كما هي، وتوافق الأفعال مع الأقوال في إطار من الصدقية، وتُعدّ من أحد أهم عناصر الإقناع في الاتصال والإعلام، حيث تكتسب قوة في التأثير على قبول المتلقي للرسالة ومدى استعداده للتفاعل معها.[48]

كما يمكن فهم المصداقية باعتبارها مدى الالتزام بالحقائق الموضوعية وعرضها بصدق وثبات بطريقة تبني وتعزز ثقة الجمهور بصانع الخطاب ليصبح مرجع موثوق.[49] يسعى الخطاب لإعلامي المقاوم إلى الانتشار والقبول، وتم توظيف ذلك من خلال إعادة "تأطير" أفكار ضمن "نقط عقدية" بنت حولها دلالات خطابية مهمة مثل شرعية الطوفان باعتباره محطة من محطات المقاومة، وإبراز الحق الفلسطيني، وحماية المسجد الأقصى، ومقاومة الاستيطان، وضرورة تحرير الأسرى من خلال المراهنة على عناصر الصمود الفلسطيني. هذه الأفكار وردت في خطابات وتصريحات مثّلت الخطاب المقاوم الفلسطيني

45 Addameer Prisoner Support & Human Rights Association, *On International Women's Day... The Occupation Detains 21 Palestinian Female Prisoners in Its Prisons*, ADDAMEER (Mar. 7, 2025), https://addameer.ps/media/5518;
وزارة شؤون المرأة الفلسطينية، **تقرير سنوي حول أوضاع الأسيرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي**، وزارة شؤون المرأة، 2024.

46 **هنية عن حرب طوفان الأقصى: المعركة انتقلت إلى قلب الكيان الصهيوني**، العربي الجديد، (7 أكتوبر 2023)، https://www.alaraby.co.uk/politics/هنية-عن-حرب-طوفان-الأقصى-المعركة-انتقلت-إلى-قلب-الكيان-الصهيوني;
*Israel Continues Its War of Starvation Against 78 Female Prisoners in Its Jails*, WAFA (June 30, 2024), https://english.wafa.ps/Pages/Details/145430.

47 LACLAU & MOUFFE, *supra* note 4.

48 DANIEL J. O'KEEFE, PERSUASION: THEORY AND RESEARCH (2d ed., Sage Publ'ns 2002).

49 عبد الرحمن عزي، **دراسات في نظرية الاتصال: نحو فكر إعلامي حضاري متميز**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2003.

على المستويات السياسية والعسكرية الميدانية لخالد مشعل، واسماعيل هنيّة، وأبو عبيدة. لذا، سيتم تحليل بعض خطاباتهم للوقوف على الكيفية التي تم بها إعادة تأطير "شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني".

## 3.2.1. "النقطة العقدية" شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني في الخطابات

### 3.2.1.1. خطابات خالد مشعل

بمناسبة عملية طوفان الأقصى، أطلق خالد مشعل، رئيس حركة المقاومة الإسلامية حماس في الخارج، نداءً بتاريخ 2023/10/30 جاء فيه:

> فيا إخواني وأخواتي، يا كل أهلي وربعي في هذه الأمة، هؤلاء إخوانكم وإخوتكم صنعوا هذا المجد، صنعوا هذا الطوفان، فكان "طوفان الأقصى"؛ انتصروا فيه للأقصى يوم رأوه يدنس منذ شهور طويلة، ورأوا الأقصى في خطر من الهدم والتقسيم وبناء الهيكل المزعوم، انتصروا من أجل تحرير الوطن والأرض، في ظل هذا الاحتلال المجرم، وفي ظل هذا الاستيطان الذي يقتل أبناء شعبنا في كل اللحظات... اليوم هذه اللحظة التي نتحدث عنها في الماضي أصبحت اليوم واجباً... الصهاينة لعبوا بالنار، ولو لا هذا الفعل النضالي في الداخل والخارج خاصة في القدس والضفة، والتي جعلت إخوانكم في غزة رغم حصارهم ينتصرون للأقصى في "طوفان الأقصى"، لو لا هذا الفعل النضالي لضاع الأقصى، وسيكون لا سمح الله... هذا عار علينا في الدنيا والآخرة.[50]

وفي مقابلة مع التلفزيون العربي بتاريخ 2024/10/09، أكد خالد مشعل على شرعية وعدالة معركة طوفان الأقصى، حيث قال:

> ونحن في خضم المعركة نعمل على تحقيق الصمود والانتصار في هذه المعركة ووقف العدوان على شعبنا، والقيام بكل متطلبات إدارة هذه المعركة حتى ننتصر فيها، وحتى نمضي خطوات على طريق التحرير، فالطوفان رسالة أعادت القضية إلى الصدارة بعد أن كادت تموت وتصفى عبر صفقة القرن وغيرها من سياسات الاحتلال الاستيطانية والعدوانية... الطوفان أوقف مشروع هدم الأقصى وعطله، وأربك الكيان الصهيوني، وأعاد الروح للأمة ولشعبنا، والطوفان حشر "إسرائيل" في الزاوية، وكشف وجهها القبيح أمام العالم، وأحدث تأثيرات استراتيجية عظيمة... القتال وسيلة وليس غاية، والمقاومة فرضت علينا بسبب الاحتلال، والبعض يتساءل عن قضية المقاومة ويقارنها بالصراع بين الدول، ... في الحالة الفلسطينية، نحن نقوم بحرب دفاعية أو مقاومة ضد الاحتلال... لو كنا نعيش في حالة استقلال بدون عدوان، بدون احتلال، فنحن نبني الدولة ونخدم شعبنا، فاليوم الشعب الفلسطيني منذ مئة عام بين انتداب بريطاني واحتلال صهيوني، لذا المقاومة طبيعية، وهذا قانون الشعوب، وقانون فطري، أن يدافع الإنسان عن ذاته وعن فكره... خسارة العدو لا أتكلم عن الاقتصاد وخسارة المليارات، أتكلم عن خسائر العدو على الساحة الدولية، والصورة النمطية التي صنعها العدو على مدى العالم ودفع الترليونات من أجلها اليوم تحطمت، اليوم الرأي العام العالمي داخل أمريكا وداخل العواصم الأوروبية وغضب الطلاب في الجامعات، بقيت فقط الأنظمة معظمها، وهناك أنظمة غيرت واعترفت بالقضية الفلسطينية، وأنظمة تقودها الولايات المتحدة للأسف ما زالت في طغيانها وتماهيها مع العدوان الصهيوني.[51]

وفي لقاء تلفزيوني بتاريخ 2023/10/16 عبّر خالد مشعل عن قضية الأسرى بشكل عام ومن الطرفين، وكيف أنّها كانت سبباً في الطوفان:

> أي أسرى؟ إذا كان الأسرى الذين أخذوا في السابع من أكتوبر فهناك أسرى قبل ذلك هناك 6000 أسير وأسيرة منهم أطفال ومنهم شيوخ ومنهم مرضى ومنهم كبار السن ومنهم من أمضى 45 عاماً في سجون الاحتلال... لذلك هذه المعركة كان أحد دوافعها وأهدافها هو أن نأخذ أسرى إسرائيليين من جنودهم وضباطهم حتى نبيض السجون الصهيونية من أبناء شعبنا... المقاومة لديها أسرى إسرائيليين تستطيع مبادلة أسرانا في سجون الاحتلال... فيما يتعلق بالأسرى المدنيين والجنسيات الأخرى فلقد طرحته علينا بعض الجهات الوسيطة حيث تعهدت قيادة الحركة علي التصرف بمسؤولية... هناك فرق بين المدنيين والعسكريين، فهم أسرى معركة تم أخذهم من ميدان المعركة ومنهم رتب عالية وضباط من فرقة غزة بشكل أساسي، ولا شك أنّ هناك مدنيين... باختصار حسابات العسكريين تختلف عن المدنيين والجنسيات الأخرى وسوف تتعامل الحركة معهم وفق القانون الدولي الإنساني ووفق قيمها وأخلاقها... وتعلمون أنّ الأخ محمد الضيف خاطب شباب القسام بوصايا النبي صلى الله عليه وسلم بألا تقتلوا شيخاً ولا تقتلوا طفلاً ولا تقتلوا امرأة.[52]

### 3.2.1.2. خطابات اسماعيل هنيّة

في اليوم الأول لطوفان الأقصى تحدث اسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، عن أسباب القيام بطوفان الأقصى، والذي جاء بعد تحذيرات متكررة كما قال:

> لقد حذّرناهم، وحذّرنا العالم أجمع، أنّه، حتى لو صمت العالم أجمع أمام ما يحدث في القدس والمسجد الأقصى، فلن نسكت، ولن نقف مكتوفي الأيدي؛ لا شعبنا، ولا مقاومتنا. ونتيجةً لغطرستهم ووقاحتهم، اقتحموا المسجد الأقصى في الأيام الأخيرة، خلال أعيادهم الدينية المشؤومة واعتدوا على نسائنا... كم مرة حذرناهم من تكثيف الاستيطان في الضفة الغربية. هذا الكيان [الإسرائيلي] خطط ويخطط لتوطين مليوني مستوطن صهيوني في الضفة الغربية، بهدف تهويدها وقلب المعادلة الديموغرافية بإضافة الاحتلال إلى المعادلة، بما في ذلك في الضفة الغربية نفسها... كم مرةً حذّرناهم من الحصار الجائر المفروض على قطاع غزة، والذي أدى إلى كل هذه المعاناة الإنسانية...غزة، التي ترزح تحت هذا الحصار منذ ما يقرب من عشرين عاماً، ازدادت سوءاً بأربع أو خمس حروب [عدوانية إسرائيلية مدمرة] شهدت عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، ودمرت المنازل... في الختام، ليس لدينا إلا قول واحد لكم: اخرجوا من أرضنا. اخرجوا من أنظارنا. اخرجوا من مدينتنا القدس ومسجدنا الأقصى.[53]

وفي اجتماع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في العاصمة القطرية الدوحة تحت شعار "طوفان الأقصى ودور الأمة" بتاريخ 2024/01/09 أشار هنيّة إلى أنّ هناك ثلاث تطورات سبقت معركة "طوفان الأقصى":

---

50 خالد مشعل، **نداء خالد مشعل إلى الأمة الإسلامية**، الموقع الرسمي للإخوان المسلمين، متوفر على الرابط (30 أكتوبر 2023): https://ikhwan.site/p-222823.

51 خالد مشعل، **مشعل: الطوفان أوقف مشروع هدم الأقصى وأربك إسرائيل**، وكالة سند للأنباء، متوفر على الرابط (10 أكتوبر 2024): https://snd.ps/post/125947/مشعل-الطوفان-أوقف-مشروع-هدم-الأقصى-وأربك-إسرائيل.

52 خالد مشعل، **خالد مشعل: كان من بين أهداف هذه المعركة أن نأسر الإسرائيليين من الجنود والضباط**، يوتيوب، متوفر على الرابط (16 أكتوبر 2023): https//:www.youtube.com/watch?v=a5BooonHRRk.

53 اسماعيل هنيّة، **هنيّة عن حرب طوفان الأقصى: المعركة انتقلت إلى قلب الكيان الصهيوني**، العربي الجديد، متوفر على الرابط (7 أكتوبر 2023): https://www.alaraby.co.uk/politics/هنية-عن-حرب-طوفان-الأقصى-المعركة-انتقلت-إلى-قلب-الكيان-الصهيوني.

معركة طوفان الأقصى جاءت في ظل محاولة تهميش القضية الفلسطينية، ومحاولات تهويد القدس والأقصى، والسعي لدمج كيان الاحتلال في المنطقة... ثلاث تطورات سبقت معركة طوفان الأقصى أولها تهميش القضية الفلسطينية وغياب المؤتمرات، والتطور الثاني تشكيل حكومة إسرائيلية متطرفة وضعت على رأس أجنداتها تهويد القدس والأقصى وفرض السيادة الكاملة على المسجد الأقصى المبارك ودعم المستوطنات وتقطيع الضفة الغربية عبر المستوطنات، وتشديد الحصار على غزة، وثالثها محاولة دج الكيان الإسرائيلي في المنطقة عبر التطبيع على حساب ثوابت الأمة وثوابت الشعب وأمام التطورات السابقة، شعبنا الفلسطيني ومقاومتنا قرر أنّ واقعاً بهذا الشكل لا يمكن مجابهته بوسائل تقليدية، فكان طوفان الأقصى.[54]

وفي خطاب ألقاه هنية بتاريخ 2023/10/26، أشار هنيّة إلي ضرورة وضع طوفان الأقصى كمعركة ضمن سياقها الطبيعي باعتبارها مقاومة مشروعة، حيث قال:

يجب ألا نقع في هذا الفخ لا نقع في حبائل الشيطان وأن يكون الأمر واضحاً جلياً لا تردد فيه ولا لبس فيه ولا غموض ولذا فإنني أحيي كل الأصوات وكل المواقف الشجاعة والجريئة التي أعلنت بوضوح عن هذه الشرعية وعن هذا الحق في ممارسة المقاومة المشروعة التي كفلتها كل الأعراف والقوانين الدولية فضلاً عن الشرائع الإسلامية والسماوية... أدعو كل الرؤساء والزعماء وقادة الفكر وأصحاب الرأي التأكيد وبشكل واضح وصريح على شرعية المقاومة على أرض فلسطين المباركة على شرعية حركة المقاومة الإسلامية حماس وكل حركات المقاومة على أرض فلسطين لأنّها حركات تحرر وطني تسعى إلى تحرير أرضها ووطنها وشعبها أما الإرهاب فهو المحتل وأما الإرهاب فهو الذي يدعم هذا المحتل أما الإرهاب هو الذي يسكت على هذه المجازر وهذه المذابح يجب أن ننتصر في معركة الوعي وأن ننتصر في معركة الإيرادات وأن ننتصر في معركة التوصيف الدقيق لما يجري على الأرض.[55]

وفي أحد الخطابات ركّز هنية بتاريخ 2024/02/17 على ملف الأسرى الفلسطينيين، وأنّه لن يتنازل عن هذا الملف كما قال:

المقاومة لن ترضى بأقل من الوقف الكامل للعدوان، وانسحاب جيش الاحتلال خارج القطاع، ورفع الحصار الظالم وتوفير المأوى الآمن والمناسب للنازحين والمشردين بسبب جرائم الاحتلال وعودة النازحين خاصة إلى شمال القطاع ووقف سياسة التجويع الهمجية والالتزام بإعادة الإعمار.. أبدت الحركة مرونة كاملة في التعامل مع هذه القضايا ولكن من الواضح حتى الآن أنّ الاحتلال يواصل المناورة والمماطلة في الملفات التي تهم شعبنا بينما يتمحور موقفه حول الإفراج عن الأسرى المحتجزين لدى المقاومة... أنّ جميع هذه المتطلبات إنسانية ومحل إجماع في الأمم المتحدة ومؤسسات حقوق الإنسان وقرار محكمة العدل الدولية، وعلى الاحتلال أن ينصاع لها... الحركة تتعامل بروح إيجابية ومسؤولية عالية مع المفاوضات الجارية إلا أنّها لن تفرط بتضحيات شعبنا العظيمة وإنجازات مقاومته الباسلة.[56]

كما أكد اسماعيل هنيّة في اليوم الأول لطوفان الأقصى على أسباب القيام بطوفان الأقصى، والذي جاء بعد تحذيرات متكررة كما قال:

أنتم يا قادة هذه المعركة، معركة بداية تحرير القدس، أرضنا وشعبنا وأسرانا في سجون الاحتلال الصهيوني. كم مرة حذرنا العالم وهذا العدو من وجود أسرى في سجون الاحتلال الصهيوني، أكثر من 6000 من إخواننا وأطفالنا وشبابنا وأبطالنا ورجالنا ونسائنا، بعضهم قضى 30 أو 40 أو حتى 43 عاماً خلف القضبان؟ وهذا العدو يضطهد أسرانا عمداً. يتخذ السادي [وزير الأمن القومي إيتمار] بن غفير قرارات بممارسة المزيد من الضغط والاضطهاد على أسرانا. لقد أدار هذا النظام وجميع المسؤولين الصهاينة ظهورهم لأي دعوة لإجراء مفاوضات غير مباشرة لتبادل الأسرى لتحرير أسرانا [السياسيين]. كم مرة حذرناهم من الحصار الجائر المفروض على قطاع غزة، والذي أدى إلى كل هذه المعاناة الإنسانية؟ غزة، التي ترزح تحت هذا الحصار منذ ما يقرب من عشرين عاماً، ازدادت قسوة بسبب أربع أو خمس حروب إسرائيلية مدمرة، راح ضحيتها عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، ودمرت منازل. تعيش غزة هذه الأزمة الإنسانية في سجن ضخم، يحتجز أكثر من مليونين ومئتي ألف من أبناء شعبنا وعائلاتنا... اليوم، مُني العدو بهزيمة سياسية وعسكرية واستخباراتية وأمنية وأخلاقية، وسنُكلّله، بتوفيق اللّه، بهزيمة ساحقة تُخرجه من أرضنا، مدينتنا المقدسة قدسنا، مسجدنا الأقصى، وتُطلق سراح أسرانا من سجون الاحتلال الصهيوني... إنّ دماء الشهداء الأبرار وبطولات هذا الشعب وجرحاه وأسراه ستضع حداً لهذا الاحتلال.[57]

### 3.2.1.3. خطابات أبو عبيدة

في خطاب لأبو عبيدة بتاريخ 2023/10/12 تحدث به عن الاستعدادات للطوفان، وأهم الأسباب التي دفعت للقيام به:

خرجنا إلى معركة طوفان الأقصى ونحن لا نشك ولو للحظة أنّ كل الأخذ بالأسباب لا يعني الاستغناء عن التوفيق الإلهي لنا في هذه المعركة التي ارتبطت بأقدس القضايا الدينية والوطنية ألا وهي قضية الأقصى والأسرى... إنّ المعركة يجب أن يكون عنوانها الأقصى والقدس ولم يعد هناك مجال للصبر على ما يعانيه أسرانا الميامين الذين قدموا زهرات شبابهم في سجون هذا المحتل البغيض... كان القرار برصد وتوجيه أكبر قدر من الموازنات للإعداد لهذه المعركة، وكذلك تم ربط قرار التوجه لها بالدفاع عن القدس ونصرة الأقصى والأسرى. ليعلم كل أبناء شعبنا وأمتنا أنّ قيادة المقاومة وعلى رأسها كتائب الشهيد عز الدين القسام كانت تعمل بلا كلل أو ملل، وتواصل الليل بالنهار بل وتحسب الساعات والأيام والشهور وهي ترى أمامها هذا الهدف وتؤسس لهذا النجاح العسكري التاريخي الذي سيدرس على مدار عقود قادمة بلا ريب... حققت إنجازاً عملياتياً وعسكرياً غير مسبوق في تاريخ الصراع مع المحتل على أرض فلسطين ستظل آثاره محفورة في ذاكرة جيش العدو ومغتصبيه وجمهوره وسيكون لها أعظم الأثر في مسيرة شعبنا نحو التحرير والعودة بعون اللّه... إنّ معركة طوفان الأقصى التي أطلقناها لأجل المسرى المبارك ولأجل سحق عنجهية العدو وتدفيعه ثمن كل الجرائم التي ارتكبها ضد شعبنا ومقدساتنا وهي معركة نخوضها على عين اللّه فأبشروا بنصر اللّه وتأييده.[58]

وفي خطاب آخر بتاريخ 2025/01/19 أظهر تضحيات الشعب الفلسطيني وأبرز إنجازاته، وكيف تكت هذه الإنجازات في ظل خذلان عربي وإسلامي:

إنّ معركة طوفان الأقصى كانت ملحمة تاريخية، حيث قدّم الشعب

54 اسماعيل هنيّة، **هنيّة يكشف حيثيات طوفان الأقصى ويوجّه رسالة للأمة وعلمائها**، حزب العدالة والتنمية، متوفر على الرابط (9 يناير 2024): https://www.pjd.ma/195291-ر-هنية-يكشف-حيثيات-طوفان-الأقصى-ويوجه.html.

55 اسماعيل هنيّة، **أبرز ما ورد في كلمة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس اسماعيل هنيّة على فضائية الأقصى**، حضارات، (26 أكتوبر 2023).

56 اسماعيل هنيّة، **هنيّة يحمّل إسرائيل مسؤولية تعثر مفاوضات صفقة التبادل وهدنة غزة**، صحيفة العرب، متوفر على الرابط (17 فبراير 2024): https://alarab.co.uk/هنية-يحمّل-إسرائيل-مسؤولية-تعثر-مفاوضات-صفقة-التبادل-وهدنة-غزة.

57 اسماعيل هنيّة، **هنيّة عن حرب طوفان الأقصى: المعركة انتقلت إلى قلب الكيان الصهيوني**، مرجع سابق.

58 أبو عبيدة، **أبو عبيدة يكشف ما سمح نشره حول معركة طوفان الأقصى**، المركز الفلسطيني للإعلام، متوفر على الرابط (12 أكتوبر 2023): https://palinfo.com/news/2023/10/12/853958/.

الفلسطيني قافلة عظيمة من الشهداء على مدار أكثر من 15 شهراً من أجل حريته وأرضه ومقدساته، وإنّ هذه التضحيات لن تضيع هدراً. مقاومتنا في غزة وشعبها الأبي العظيم قدموا الحجة على كل العالم وأظهروا قدرة أصحاب الأرض والحق على الفعل الكبير المؤثر وصناعة التاريخ، وقهر المحتلين وإسقاط أوهامهم.[59]

وفي خطاب آخر بتاريخ 2023/10/16 حول الواقع المعاش للأسرى المحتجزين لدى المقاومة، أظهر أبو عبيدة كيفية التعامل معهم بالتوازي مع القيم الإسلامية والعربية:

يا أبناء شعبنا وأمتنا ويا كل العالم، وفي ظل الحديث الكثير والمستمر حول أسرى معركة طوفان الأقصى في قبضة المقاومة في قطاع غزة، ... لا نستطيع حالياً ضبط الأعداد الموجودة من أسرى العدو في القطاع بشكل كامل ودقيق؛ للاعتبارات الأمنية والميدانية نتيجة الاستهداف والقصف الصهيوني المتواصل على القطاع، ولكنّنا نقدر مبدئياً أنّ عدد الأسرى ما بين مئتين إلى مئتين وخمسين أسيراً أو يزيد عن ذلك، وما هو متواجد بين أيدينا في كتائب القسام نحو مئتي أسير، والبقية موزعون بين مكونات أخرى من فصائل المقاومة... نحن نتعامل مع الأسرى بما تمليه علينا تعاليم ديننا، ونرعاهم بما يقتضيه الواجب الأخلاقي والإنساني، فيأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب، ويعيشون اليوم نفس الظروف التي يعيشها عموم أبناء شعبنا في غزة. ولكنّنا نؤكد بأنّ العدوان الصهيوني الغاشم على المباني والبيوت وقصف البنايات دون سابق إنذار أدى إلى فقدان 22 أسيراً منهم لحياتهم حتى الآن، وكان آخرهم الأسير الصهيوني الفنان جاي أوليفر، 26 عاماً من سكان تل أبيب، الذي قتل أول أمس في القصف المتواصل على شعبنا في عموم قطاع غزة. كما أنّنا نؤكد بأنّ الدعاوى الكاذبة من قبل الاحتلال حول تعاملنا مع الأسرى أو في ساحة القتال هي محض افتراءات من عدو فاقد لكل قيم الإنسانية أصلاً، وقد كذبنا الدعاوى بالوقائع وببعض ما نشرناه وسننشره في وسائل الإعلام... نؤكد لكل العالم ولكل من يريد أن يتدخل في ملف الأسرى، وكذلك نؤكد لأبناء شعبنا ولأسرانا ولأهاليهم في كل سجون الاحتلال بلا استثناء أنّنا مصرون على أن ندخل الفرحة بعون الله لكل بيت من أبناء شعبنا الفلسطيني، في هذا الملف وهذا وعد قطعناه على أنفسنا، ولن نخلفه بأمر الله تعالى.[60]

وعن ملف الأسرى، وبتاريخ 2023/11/08 أراد أبو عبيدة، إظهار نوع من الندية مع الاحتلال من خلال التعبير عن قدرتهم على أسر عدد من الإسرائيليين من كل الفئات كما هو حال الأسرى الفلسطينيين:

إنّ ملف الأسرى لا يزال حاضراً لدينا في تفاصيل هذه المعركة معركة طوفان الأقصى وإنّنا نجدد تأكيدنا على أنّ المسار الوحيد والواضح لهذه القضية هو صفقة لتبادل الأسرى بشكل شامل أو مجزأ، فلدينا أسيرات في السجون، وللاحتلال أسيرات من النساء لدينا، ولدينا أسرى مدنيون ومرضى وكبار في سجون العدو، وله عندنا أسرى من ذات الفئات، ولدينا مقاتلون ومقاومون في سجون الاحتلال، وللعدو عندنا جنود مقاتلون أسرى... وليس لهذا الملف من حل قطعاً سوى هذا المسار والتبادل فئة بفئة أو كعملية شاملة، كما أنّنا لا زلنا نؤكد أنّ من يعيق ويخرب كل جهود تسليم المحتجزين من ذوي الجنسيات الأجنبية هو العدو الذي يواصل العدوان ويرفض تهيئة الظروف للإفراج عنهم بل ويعرض حياتهم وحياة أسراه لخطر داهم كل ساعة وكل يوم، وقد أفشل منذ أيام عملية الإفراج عن اثني عشر منهم، وما العدد الكبير من القتلى، من الأسرى والمحتجزين، ومن لا يزال منهم تحت الأنقاض، ومن يخضع للعلاج ويقف بين الحياة والموت ليس سوى دليل على عنجهية هذا العدو وغطرسته وتخبطه.[61]

## 3.3. المطلب الثالث: تحليل فكرة شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني في الخطاب المقاوم

جاءت فكرة شرعية المقاومة والحق الفلسطيني كنقطة عقدية في خطابات وتصريحات كل من خالد مشعل، رئيس حركة المقاومة الإسلامية-حماس في الخارج، واسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، وأبو عبيدة، الناطق الرسمي باسم كتائب عزّ الدين القسّام. وبما أنّ الخطاب يعتبر ساحة للصراع الفكري والرمزي مع الخطابات الإسرائيلية والأمريكية، فلقد حاول قادة حماس أن يثبتوا الخطابات من خلال الاستناد لنقطة عقدية وربطها بالدلالات العائمة، وهذه النقط العقدية تسهم في تثبيت الدلالات بطريقة تسعى لتحقيق الهيمنة الخطابية كما يجادل لاكلاو وموفي.[62] وبالتالي تحقيق الأهداف، وفي هذا السياق فالمقصود هو تحقيق أهداف إعادة إحياء القضية الفلسطينية، من خلال تبرير ووضع معركة طوفان الأقصى بسياقها الصحيح وهو شرعية المقاومة المسلحة لتحقيق التحرر من الاحتلال لا اعتبارها عملية إرهابية.

إنّ اختيار هذه الخطابات يشكل محاولة لشمول مستويات وأشكال المقاومة المختلفة سواءً السياسية العليا في الخارج ممثلة بخالد مشعل، والسياسية في الإطار الوطني الإقليمي ممثلة باسماعيل هنيّة، والعسكرية المسلحة والممثلة بأبي عبيدة. يضفي هذا التنوع قيمة في استخدامات الدلالات العائمة حول النقطة العقدية الرئيسة، كلٌ حسب منصبه وفهمه. لذلك، نحتاج لفهم الدلالات العائمة والمستخدمة لتثبيت النقطة العقدية عند كل واحدٍ منهم. حيث وردت الدلالات العائمة التالية في خطاباتهم: حماية المسجد الاقصى، والمقاومة المسلحة، والاستيطان، وتحرير الأسرى.

لقد سرد قادة حماس قضايا أساسية في خطاباتهم لتبرير وشرح أسباب القيام بمعركة طوفان الأقصى. حيث احتل المسجد الأقصى والقدس الاهتمام الأول، ثم قضية الأسرى ثانياً، ثم خطورة توسيع وتكثيف الاستيطان والانتهاكات بحق الفلسطينيين في الضفة الغربية في المرتبة الثالثة، وهذا بالمجمل يعيد طرح القضية الفلسطينية من جديد في وقت تهمشت وتهشّمت به القضية خاصة في ظل الحديث عن استعدادات لضم الضفة الغربية والسيطرة على القدس.

### أولاً: دلالة حماية المسجد الأقصى

وردت في جميع الخطابات ضمن سياقات متعددة لكي تسهم في تثبيت الخطاب من خلال النقطة العقدية الرئيسة "شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني" حيث تم التعبير عنها في خطاب خالد مشعل في سياق سببي، يظهر العلاقة بين الطوفان والممارسات الإسرائيلية من قبيل تدنيس ومحاولة بناء الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى، حيث أنّ المنطقة المقام عليها هي أرض فلسطينية خالصة، وتعني رمزية وطنية لفلسطين. كما تعني

59 أبو عبيدة، **أبو عبيدة: معركة طوفان الأقصى كانت ملحمة تاريخية بدأت من تخوم غزة وغيّرت وجه المنطقة**، وكالة وطن للأنباء، متوفر على الرابط (19 يناير 2025): https://www.wattan.net/ar/news/454051.html.

60 أبو عبيدة، **خطاب أبو عبيدة في معركة طوفان الأقصى بتاريخ 16-10-2023**، إذاعة حسنى، متوفر على الرابط (17 أكتوبر 2023): https://husna.fm/%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89/%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%B9%D8%A8%D9%8A%D8%AF%D8%A9-16-10-2023.

61 أبو عبيدة، **خطاب أبو عبيدة في معركة طوفان الأقصى بتاريخ 8-11-2023**، إذاعة حسنى، متوفر على الرابط (9 نوفمبر 2023): https://husna.fm/%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89/%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%B9%D8%A8%D9%8A%D8%AF%D8%A9-8-11-2023.

62 LACLAU & MOUFFE, *supra* note 4.

رمزية دينية للمسلمين بشكل عام، ومع ذلك، تثير إسرائيل دائماً الحقوق التاريخية والدينية لليهود في وجود آثار للهيكل تحت المسجد الأقصى، وبالتالي، رمزياً، وفي صراع الخطابات تُعدّ منطقة القدس ومنطقة المسجد الأقصى مجالاً للتنافس والصراع الخطابي، كما هو الحال، الميداني الواقعي بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث تظهر أهمية توظيف هذه الدلالة في الرواية الفلسطينية كونها منطقة متنازع عليها ايدولوجياً وخطابياً. ويأتي الاستخدام هنا لتثبيت هذه الدلالة العائمة ضمن النقطة العقدية، للتأكيد على إعادة بناء وتشكيل السرديّة الفلسطينية، والتي تؤكد باستمرار عروبة المسجد الأقصى، وتسهم في مقاومة السرديّة الإسرائيلية المقابلة.

لقد استخدم خالد مشعل هذه الدلالة بشكل يتسق مع منصبه كرئيس لحركة المقاومة الإسلامية–حماس في الخارج، حيث يتم عادة طرحه لهذه الدلالة من خلال السياق الإقليمي والدولي حيث كان ينادي "يا إخوتي وأخواتي يا كل أهلي وربعي في هذه الأمة" ويذكر مركزية وأهمية المسجد الأقصى بالنسبة للأمة الإسلامية ككل وليس فقط للعرب.

ولقد احتلت هذه الدلالة أيضاً موقعاً مركزياً في خطاب اسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس. ويمكن ملاحظة أنّ البناء الهيكلي لخطاباته مبني على أساس سياسي، حيث ذكر بأنّ هناك ثلاثة أسباب وراء القيام بمعركة طوفان الأقصى تتمثل بتهميش القضية وغياب المؤتمرات السياسية، والحكومة الإسرائيلية المتطرفة، ومحاولات دمج الكيان في المنطقة عبر بوابات التطبيع على حساب ثوابت الأمة. وهنا، نذكر أنّ هناك أدوار دبلوماسية وإنسانية مهمة تقوم بها دول محدودة كالأردن ودولة قطر، حيث كان للأخيرة دوراً أساسياً في بناء قطاع غزة في كل مرة يدمّر، كما أنّ لأدوارها الدولية في المنظمات العالمية والإقليمية في وضع القضية الفلسطينية على الطاولة تأثيراً مهماً في إعادة التأكيد على مركزية القضية. وفي خلال الطوفان وما اتبعه، برز دور قطر بشكل أكبر من خلال عمليات تبادل الأسرى التي جرت بين حركة حماس وإسرائيل، كما تتوج الاتفاق الأخير بجهود واضحة شملت أيضاً الجانب المصري والأمريكي.

لقد استخدم هنيّة هذه الدلالة بسياق سياسي؛ يظهر أنّ غياب أي أفق سياسي لحل القضية الفلسطينية من خلال غياب المؤتمرات وتهميش القضية يُبقي المسجد الأقصى كفتيل بارود قابل للاشتعال بأي لحظة، لذا تم ربط حل القضية الفلسطينية وتوقف الممارسات الإسرائيلية في القدس بالهدوء الذي سينعم به المسجد الأقصى، وبالتالي، تنخفض احتمالية المواجهات والمعارك من مثل طوفان الأقصى. ولقد استخدمها هنيّة بسياق وخطاب أيديولوجي للتأكيد على الحقوق الإسلامية بالمسجد الأقصى وربطها بالحق الفلسطيني لتثبيت النقطة العقدية حول شرعية المقاومة المسلّحة لحماية المسجد الأقصى من كل الاعتداءات والسياسات الإسرائيلية التي تستهدفه.

وفي مستوى آخر، جاءت هذه الدلالة في خطابات أبو عبيدة في سياق ميداني واستعداد عسكري يثبت فاعلية الطوفان في حماية المسجد الأقصى، من خلال التركيز على الجانب العملياتي. حيث وظّف أبو عبيدة هذه الدلالة بطريقة تظهر مدى عمق ومركزية الأقصى في الوجدان الإسلامي والعربي والفلسطيني على السواء عندما ذكر "لأجل المسرى المُبارك". فلقد ربط أبو عبيدة أنّ الانتهاكات المتكررة هي سبب من أسباب الطوفان، كما أكد على إسلامية وعروبة المسجد الأقصى، والرمزية الدينية التي يشكّلها للمسلمين. ولقد أظهر البناء الخطابي له مدى أهمية التركيز الدائم على التهيئة الأمنية والعسكرية التي يجب أن تكون حاضرة لتسهم في حماية الأقصى، ولقد استدرك أيضاً عندما أعاد الفضل الأول في نجاح معركة الطوفان لتوفيق الله عزّ وجل على الرغم من الإعداد الجيد.

## ثانياً: دلالة المقاومة المسّلحة

على الرغم من تعدد أشكال المقاومة، إلا أنّ المسلّحة منها تُعدّ الأكثر فاعلية. ومع ذلك، استمر الفلسطينيون بالمقاومة من خلال أدوات عديدة منها القوة الناعمة: من خلال السياسة، والرواية، والشعر، والرسم، والتراث والثقافة، وبالقوة الصلبة العسكرية، من خلال العمليات العسكرية التي ينفذها المقاتلون، ومن خلال المعارك التي تخوضها المقاومة وبشكل خاص من قطاع غزة. لقد وردت هذه الدلالة الجزئية في خطابات قادة حماس بسياقات مختلفة تخدم في تثبيت خطاب المقاومة بطرق شتى. وبشكل أكثر تحديد، وردت هذه الدلالة في خطابات خالد مشعل بطريقة تشرح وتفسر النوع المسلّح من المقاومة. فالمقاومة حسب سرده "مفروضة علينا" بسبب الاحتلال، وبالتالي لم تكن "غاية" بقدر ما هي "وسيلة" للتحرر. وبهذا أراد أن ينفي صفة العنف والتعطش للدماء عن الحركة ووضعها بسياق دفاعي لا هجومي.

في السياق الدولي، والذي يتسق مع دوره في الحركة كرئيس في الخارج، يحاول مشعل، الالتحام مع التفسيرات القانونية لـ"الحرب" و"الصراع" و"المقاومة" حيث يحاول جاهداً إثبات الفرق بين هذه المصطلحات وانعكاساتها الميدانية وبين المقاومة. فهو دائماً ما يقدّم المقاومة باعتبارها فعلاً دفاعياً لا هجومياً، وبالتالي، يمارس هنا الواقعية السياسية؛ والتي تفرضها الدول العظمى من حيث الخلط بين هذه المفاهيم، وضرورة التماهي معها بطريقة تحفظ استمرارية المقاومة المسلحة وحتى لا تثير الدول الداعمة والراعية لإسرائيل. وهذا يترجم محاولة سياسية لإجهاض تبني قرارات ومواقف دولية بالاستناد على ذلك، وبشكل خاص من قبل مجلس الأمن، ودور سياسة النقض الفيتو الذي تمارسه الولايات المتحدة بكثرة لحماية إسرائيل، وأيضاً ما يمكن أن يتم تبنيه من خلال الاتحاد الأوروبي. حيث يعود ويؤكد مشعل على أنّ المقاومة طبيعية ومشروعة وحق كفلته الأعراف والقوانين الدولية.

في سياق خطابات اسماعيل هنيّة، يمكن النظر إلى استخدام هذه الدلالة العائمة بطريقة سياسية ومتسقة مع خطابات مشعل إلى حد كبير، وبشكل أساسي، بجعلها دفاعية وردة فعل أكثر من كونها هجومية أو انتقامية. حيث استخدم الكثير من الأفكار التي تبيّن أنّه تم تحذير الإسرائيليين بشكل متكرر من خطورة الأعمال والممارسات التي يقومون بها؛ مثل استمرار الاستيطان، وتهويد القدس، والاعتداء على المسجد الأقصى، ومعاناة الأسرى، والحصار على غزة، والانتهاكات بحق أهل الضفة. وعلى الرغم من مشروعية المقاومة بشكل عام تلك التي تسعى للتحرر، إلا أنّ هنيّة يحاول تجنب الغضب الدولي المساند لإسرائيل في كل تجلياته سواء باتخاذ قرارات تسمية حماس ضمن قوائم الدولية للإرهاب، أو توصيف تلك الأعمال بالإرهابية، والتضييق عليهم بكل السبل. حيث أراد إبراز أنّ هناك جيشاً من المفكرين والكتّاب والمناصرين بشكل عام يتفقون معه ومع كل من يقول بشرعية المقاومة المكفولة دولياً وعقائدياً، حيث حياهم بخطابه، ووضع مقاومة حماس ضمن هذا السياق حتى لا يتم عزلها دولياً، ولا حتى محلياً في سياق تفسيرات قاصرة عن الفهم الاستراتيجي لبعد المقاومة المسلحة. وبشكل واضح، استحضر هنية مفهوم الإرهاب بعد التقديم المنطقي لشرعية المقاومة؛ ليضعه في السياق الذي يناسب الاحتلال، وهذا ما أراد أن يؤكد عليه هنيّة باعتبار أنّ هذا "معركة وعي بأهمية التفريق بين المقاومة المشروعة والإرهاب"، وشدد على ضرورة الانتصار في هذه المعركة الرمزية أيضاً لأنّها تؤسس لمعارك أكثر خشونة وقسوة، حيث قال أيضاً يجب "أن ننتصر بمعركة التوصيف الدقيق".

في السياق الميداني، وفي خطابات أبو عبيدة، برزت هذه الدلالة العائمة كفعل ضمن عبارات أخرى تم صياغتها بلغة العسكري والميداني. حيث ظهرت من خلال عبارة "التحرير والعودة" بشكل عام، و"طوفان الأقصى" بشكل خاص. الخطاب الميداني لأبو عبيدة يتسق أيضاً مع خطابي مشعل وهنيّة كونه يضع طوفان الأقصى في سياق "دفاعي" ورد فعل على الجرائم الإسرائيلية. وأراد أبو عبيدة أيضاً أن يخلق اتساقاً وتوازناً بين الجوانب السياسية والقانونية الدولية والإقليمية المذكورة في خطابات قادة حماس مع الجانب التنظيمي للطوفان محلياً، بشكل يوجه رسالة بقدرة حماس على ضبط ما قد يتفرع عن الطوفان هنا وهناك، وأنّه قد تم الإعداد له بشكل مكتمل يضمن ديمومته وانضباطه. كما أراد إبراز، وبشكل خاص، دور كتائب الشهيد عز الدين القسّام في الإعداد والتنفيذ بأعلى درجات الكفاءة.

## ثالثاً: دلالة الاستيطان

لا تقل دلالة الاستيطان أهمية عن سابقاتها من حيث محاولة إسهامها في تثبيت خطاب المقاومة في التأكيد على شرعية المقاومة وتثبيت الحق الفلسطيني، على الرغم من كون هذه الدلالة تتعلق بالضفة الغربية والقدس تحديداً وليس غزة. وهذا من شأنه أن يظهر وحدة الحال الفلسطينية التي تدعو لها حركات المقاومة بحيث أنّها لا تقتصر فقط على غزة، بل على عموم فلسطين. ويظهر هذا أيضاً كيف أنّ حركة المقاومة الإسلامية حماس تتصرف نيابة عن الفلسطينيين، في تخطي واضح لدور السلطة الوطنية الفلسطينية والتي يفترض أن تمارس هذا الدور الوطني، أو تشارك به بشكل فاعل على الاقل. إنّ دلالة الاستيطان محورية في كل خطاب فلسطيني وبالأخص المقاوم؛ لما لها من ارتباط بمحاولات إسرائيل بتغيير المعادلة الديموغرافية وتهويد القدس، وتقطيع أوصال الضفة الغربية، وبالتالي قتل أو جعل فكروة حل الدولتين مستحيلة.

في خطابات خالد مشعل، ورد الاستيطان في السياق الدولي مرتبطاً بـ"مشاريع التصفية" والتطبيع بين الكيان وبعض الدول العربية والإسلامية. حيث أعاد مشعل تأطير خطر الاستيطان ليكون أحد أسباب الطوفان. تم ربط الاستيطان بالسياق السياسي لأنّه مرتبط بشكل مباشر وغير مباشر بتصفية القضية من ناحية إفراغ الأرض من أهلها واستبدال بهم مستوطنون جدد. برزت هذه الدلالة أيضاً بطريقة تظهر خطر الاستيطان اليومي على الفلسطينيين، من خلال الممارسات اليومية للمستوطنين من أعمال السلب والنهب والقتل والإيذاء والتنكيل والذي حوّل حياة الفلسطيني لكابوس، حيث قال: "في ظل هذا الاستيطان الذي يقتل أبناء شعبنا في كل لحظة".

كما جاءت خطابات هنيّة حول دلالة الاستيطان متسقة مع خطابات مشعل في سياق متصل بمحاولة التأكيد على اعتبار الاستيطان خطراً حقيقياً على مستقبل أية احتمالية للتحرر أو تطبيق حل الدولتين على الأقل. قادة حماس، كما هو حال الكثير من الفلسطينيين، مدركين تماماً لمخططات إسرائيل التهويدية ومدى خطورتها الأنية والمستقبلية على فلسطين. لقد وردت هذه الدلالة العائمة في خطابات هنيّة بطريقة تظهرها خطراً كبيراً على مستقبل الوجود الفلسطيني في فلسطين، كما تم توظيفها بطريقة تظهر مدى الغطرسة الإسرائيلية التي لا تكترث بالقانون الدولي، ولا بقرارات الشرعية الدولية، ولا تضع اعتباراً لأي جهد أو محاولة دولية لحل القضية الفلسطينية، حتى من قبل الدول الراعية والداعمة لإسرائيل بقوة من كل الجوانب السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وغيرها.

لقد قال هنيّة بهذا الخصوص: "كم مرة حذرّناهم من تكثيف الاستيطان في الضفة الغربية، هذا الكيان خطط ويخطط لتوطين مليوني مستوطن صهيوني في الضفة الغربية، بهدف تهويدها، وقلب المعادلة الديمغرافية"، وهذا يظهر كيف وظّف هنيّة هذه الدلالة بطريقة تظهر الاستيطان كسياسة احتلالية إسرائيلية مخالفة لكل القوانين والقرارات الدولية، بالإضافة لكونها أداة قتل وتنكيل يومية لحياة المواطن الفلسطيني صاحب الأرض. كما جاء استخدام هذه الدلالة لتتسق مع توظيف مشعل لها من حيث كونها أحد الأسباب التي انتجت طوفان الأقصى. اتساقاً مع الدور الذي يضطلع به هنيّة كرئيس للمكتب السياسي، فلطالما استخدم هذه الدلالة وغيرها في سياقات سياسية تستكشف مآلات القضية الفلسطينية وهذه مناورة سياسية تربط دائماً النضال العسكري المسلّح مع النضال السياسي والقانوني.

من جهة أخرى، جاء في مرات قليلة استخدام هذه الدلالة في خطابات أبو عبيدة بعبارات غير مباشرة، حيث تم التعبير عنها تحت عنوان "الجرائم" التي يرتكبها الإسرائيليون ضد الشعب الفلسطيني والمقدسات، كما وردت بشكل غير مباشر ضمن تعبيراته عن الخطر الذي يداهم الأقصى، وإحدى هذه المخاطر هي عملية تهويد القدس. عادة ما كانت خطابات أبو عبيدة تعبّر عن سياقات عملياتية وميدانية وعسكرية، حيث وضعت الاستيطان كخطر محدق وجريمة بجانب كل ما يمارسه الاحتلال، وإنّ الرد على هذه الجريمة كان من خلال الإعداد الجيد لمعركة طوفان الأقصى، فالسياق هنا، يركز على الجاهزية وردة الفعل "القسامية" باعتبار الاستيطان قنبلة موقوتة.

## رابعاً: دلالة تحرير الأسرى

وردت دلالة تحرير الأسرى في مركزية خطابات قيادة حماس السياسية والعسكرية وذلك بسياقين متصلين، الأول تطرق إلى تحرير الأسرى الفلسطينيين؛ باعتباره أحد أبرز الملفات التي تعمل عليها المقاومة الإسلامية– حماس، وهو من أهم الأسباب التي قادت للطوفان، بينما، الثاني كان يُركز على مركزية إنجاز الطوفان من حيث أسر جنود ومدنيين إسرائيليين، وبالتالي فإنّ تحرير هؤلاء مشروط بتحرير أولئك، أي الأسرى الفلسطينيين. وبنفس الوقت فهناك أفكار مختلفة عبّرت عن ظروف كلا السياقين؛ فسياق الأسرى الفلسطينيين ارتبط بالصورة النمطية التي ما دأبت إسرائيل على رسمها، من حيث عمليات الاعتقال والأسر دون تهم موجهة أو جرائم مثبتة لكثير منهم، بالإضافة للانتهاكات التي تمارس بحقهم من حيث ظروف الاعتقال والسجن والحرمان من الحقوق الأساسية. بالمقابل، جاء سياق الأسرى الإسرائيليين باعتباره نتيجة وسبباً؛ حيث يمكن اعتباره نتيجة للممارسات الإسرائيلية التي تشمل انتهاكات بحق المسجد الأقصى وعمليات التهويد في القدس، وتكثيف الاستيطان في الضفة الغربية، وظروف الأسرى الفلسطينيين، ومخاضات التطبيع والاتفاقيات الإبراهيمية، في حين يمكن النظر له باعتباره سبباً يؤدي إلى نتيجة أو إنجاز ستحققه المقاومة والمتمثل في تبييض سجون الاحتلال من الأسرى الفلسطينيين وبخاصة العنصر النسائي وما ارتبط به من انتهاكات جسيمة غير مقبولة حسب وجهة النظر الفلسطينية.

لقد تم استخدام هذه الدلالة في خطابات خالد مشعل لتثبيت النقطة العقدية الرئيسة المتعلقة بتثبيت خطاب المقاومة حول شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني. ولقد وظّفها مشعل بطريقة تظهر الظروف الصعّبة المحيطة بأكثر من 6000 أسير وأسيرة من الشيوخ والأطفال والمرضى، حيث ذكر بأنّ كثير منهم أمضى أكثر من 40 عاماً، وتطرّق لتفاصيل معاناتهم من أجل تحقيق هدفين، الأول: تبرير القيام بطوفان الأقصى، عندما قال أنّ أحد دوافع الطوفان، هو أسر إسرائيليين من أجل تبييض السجون الإسرائيلية، وثانيهما: جعل قضيتهم عالمية وذات طابع إنساني من أجل تشجيع المنظمات المعنية بالعمل الإنساني كمنظمة الأمم المتحدة، ومنظمة العفو الدولية، وغيرهما للدفاع عنهم.

ومن جهة أخر، فرّق مشعل بين نوعين من الأسرى، العسكريين والمدنيين، وقد أراد بيان نهج المقاومة والذي يتبع القيم الإسلامية والإنسانية في التعامل مع المدنيين. حيث كشف مشعل عن وساطات من حكومات معينة تسعى لإطلاق سلاح المدنيين أو ضمان حياتهم، وهو ما أكده، حينما تحدث عن أنّ قيادة حركة المقاومة والمعنيين في غزة يميزون بين المدنيين والعسكريين، حيث سيتم التعامل معهم حسب القانون الدولي، تعاليم الدين الإسلامي والذي يحمي الفئات الضعيفة مثل الشيوخ والأطفال والنساء كما ورد بحديثه: "وتعلمون أنّ الأخ محمد الضيف خاطب شباب القسام بوصايا النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا تقتلوا شيخاً ولا تقتلوا طفلاً ولا تقتلوا امرأة."

قضية الأسرى بالنسبة للمقاومة هي قضية جوهرية وأساسية، حيث تُعدّ من وجهة نظرهم قضية وفاء، وإعادة بث الروح المعنوية في نفوس المقاومين؛ لتخدم هدف سامٍ يتمثل بالتأكيد على حقيقة مفادها أنّ المقاومة لا تترك المناضلين والمقاومين الذين تم أسرهم، والذين قضوا فترات طويلة في السجون الإسرائيلية يعانون ظروف صعبة، أولئك الذين قاوموا الاحتلال بصور وأشكال مختلفة، وبالتالي يخدم هذا العمل في ديمومة المقاومة واستمراريتها عندما يُدرك المقاوم أنّ هناك خلفه مقاومة ستخرجه من السجن ولو بعد حين.

لم تختلف كثيراً هذه الدلالة في خطابات اسماعيل هنيّة، فقد تم توظيفها بطريقة تبرر وتسوّغ الطوفان، وبأنّها نتيجة وسبب في الوقت ذاته، رداً على كل الممارسات الإسرائيلية، وبخاصة بحق الأسرى. إلا أنّ هنيّة استخدم هذه الدلالة بمفهومها الأوسع من حيث توصيف قطاع غزة بالسجن الكبير والذي يحوي أكثر من 2 مليون مواطن، وبالتالي أراد ايصال فكرة أنّ الغزيين فعلياً هم أسرى، ولو بدوا في ظاهرهم أحرار كون القطاع محاصر منذ 2007.

بالإضافة للجانب الإنساني لقضية الأسرى، فلقد أراد هنيّة أيضاً جعلها قضية حقوقية وسياسية عندما ربط عدالة المطالبة بتحرير الأسرى الفلسطينيين بجوهر عمل المنظمات الحقوقية الدولية، والأمم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية. وتدعم خطابات هنيّة أيضاً فكرة مركزية تحرير الأسرى في فكر المقاومة؛ باعتبارها باعثة للحق الفلسطيني عن طريق الحفاظ على ديمومة المقاومة بغض النظر عن أشكالها. فقد تعهد هنيّة بعدم التفريط بحقوق وتضحيات الشعب الفلسطيني تحت أي خيار، بالرغم من المرونة التي تمارسها الحركة من خلال المفاوضات بشكل غير مباشر مع إسرائيل والتي تقوم بها بشكل أساسي دولة قطر، حيث تمارس الدبلوماسية القطرية أدواراً مهمة على مستوى السياق الدولي في توظيف أدواتها لخدمة قضايا المسلمين والعرب والعالم أجمع. ولقد أفرد هنية مساحة واسعة في أحد خطاباته ليوضح الظروف الصعبة المحيطة بالأسرى الفلسطينيين. حيث أكد على عدد الأسرى الذي تحدث عنه مشعل والذي يتجاوز 6000 من كل تصنيفات الشعب الفلسطيني، والذين تضطهدهم إسرائيل بشكل متعمد لإيصال رسائل بأنّ هذا هو مصير كل من يفكر في المقاومة. ولقد أشار هنيّة إلى أنّ هذه إجراءات ممنهجة وليست فردية؛ لأنّه أشار أنّ هذه الممارسات تتم من قبل وزير الأمن الداخلي (إيتمار بن غفير).

ميدانياً، تتمثل خطابات أبو عبيدة في ربط التجهيز والتنفيذ الذي تم بطوفان الأقصى بالمسجد الأقصى كأهمية قصوى، ثم جاء بالمرتبة الثانية قضية الأسرى. حيث عبّر أبو عبيدة عن أنّ الأسرى ضحوا بـ"زهرات حياتهم" من أجل القضية الفلسطينية، وأنّه لم يعد بالإمكان تقبل فكرة التنصل من الدفاع عنهم ومحاولة إخراجهم. وتم التعبير عن ظروف اعتقال الأسرى الإسرائيليين من حيث أنّهم يُعاملون تبعاً للقيم الدينية الإسلامية، وأخلاق العروبة، ولا تفريق بين الآسرين والمؤسرين من حيث التفضيلات فلقد قال: "نحن نتعامل مع الأسرى بما تمليه علينا تعاليم ديننا، ونرعاهم بما يقتضيه الواجب الأخلاقي والإنساني، فيأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب، ويعيشون اليوم نفس الظروف التي يعيشها عموم أبناء شعبنا في غزة"، هذا الاستخدام لهذه الدلالة يأتي في سياق الاتساق مع ما تم طرحه من قبل مشعل وهنيّة عن الفرق في التعامل مع الأسرى بين أسلوب المقاومة والتي تلتزم بالقيم الإسلامية والعربية والقانون الدولي، وبين أسلوب إسرائيل الذي ينتهك أبسط حقوق السجين من وجهة نظرهم.

يُصر أبو عبيدة على التأكيد على محورية قضية تحرير الأسرى، باعتبارها قضية لا نقاش أو تنازل عنها، حيث عبّر عن الوعد الذي قطعته الحركة على نفسها من حيث "إدخال الفرحة بعون الله على كل بيت" وأنّ هذا وعد لن تخلفه الحركة. وفي خطاب آخر، أكد على أنّ الأسرى مقابل الأسرى، حيث يوضح حقيقة أنّ ما لدى المقاومة من الأسرى يماثل ما في سجون الاحتلال من حيث الأعمار والفئات، ومنهم مقارنة المقاومين بالعسكريين، والنساء بالنساء والشيوخ بالشيوخ، وهذا بحد ذاته يظهر الندية والقدرة على الأسر، ولكن جوهر الاختلاف يكمن في الهدف من الأسر وطريقة التعامل. وأراد أبو عبيدة إظهار الدور الإسرائيلي في إفشال محاولات حركة حماس الإفراج عن الأسرى من جنسيات غير الإسرائيلية في بادرة لتأليب الرأي العام العالمي وبشكل خاص تلك الدول التي ينتمي لها بعض اولئك الأسرى.

## 4. خاتمة

هدفت هذه الدراسة لاستكشاف دور الخطاب في التأكيد على شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني، وذلك من خلال تحليل بعض الخطابات بعد طوفان الأقصى لقادة حماس: خالد مشعل، رئيس حركة المقاومة الإسلامية–حماس في الخارج، واسماعيل هنيّة، رئيس المكتب السياسي للحركة، وأبو عبيدة، الناطق الرسمي باسم كتائب الشهيد عز الدّين القسّام. تفترض نظرية الخطاب لأرنستو لاكلاو وشانتي موفي 1985 أنّ الخطابات في حالة تنافس مستمرة وأنّها متغيرة وغير ثابتة تبعاً للسياق، لذلك اقترحوا نموذج يستند بشكل أساسي على ما اسموه النقط العقدية (nodal points)، والدلالات العائمة (floating signifiers). استخدمت الدراسة هذا النموذج واسقطته على الخطاب المقاوم من حيث اعتبار فكرة "شرعية المقاومة وثبات الحق الفلسطيني" كنقطة عقدية، فيما شكّلت كل من أفكار "حماية المسجد الأقصى، والمقاومة المُسلّحة، والاستيطان، وتحرير الأسرى" كدلالات عائمة عملاً مساعداً في تثبيت النقطة العقدية المركزية في الخطاب.

ولقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج المهمة: أدّت خطابات قيادة حماس دوراً مهماً في التأثير على الرأي العام ومنافسة الروايات الإسرائيلية التي تتهم الحركة بأعمال إرهابية خلال الطوفان؛ وتم التعبير عن النقطة العقدية والدلالات العائمة في الخطاب بسياقات متعددة تتسق مع الموقع القيادي لصاحب الخطاب: كالسياقات السياسية الدولية ممثلة بخالد مشعل، والسياسية المحلية والاقليمية، ممثلة باسماعيل هنيّة، والداخلية الميدانية والعسكرية ممثلة بأبي عبيدة. كما وجدت الدراسة أنّ جميع الخطابات، بالرغم من تعدد مستوياتها، جاءت متسقة وتؤكد على الأفكار ذاتها، ولو بطرق مختلفة أحياناً. كما أظهرت الدراسة محاولات عديدة للقادة في إظهار التزام الحركة بالقيم الإسلامية والعربية في التعامل مع الأسرى، وهو المنظور الذي يتفق معه القانون الدولي بنسبة كبيرة.

## الإفصاح عن استخدام الذكاء الاصطناعي

يقر المؤلف بأنّ محتوى المقالة البحثية قد أُنجز بمساهمة فكرية كاملة منه، دون استخدام أي برنامج من برامج الذكاء الاصطناعي.

## الإفصاح عن تضارب المصالح

يقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مصالح نتيجة لعلاقات تنافسية أو تعاونية أو غيرها للإفصاح عنها.